جمعية التعليم والتنمية في بوروندي
ASSOCIATION POUR L'EDUCATON ET LE DEVELOPPEMENT BURUNDI

أصول الدعوة والخطابة

معهد إعداد الدعاة- الفصل الدراسي الثاني

جمع وإعداد المكتب التعليمي

د. أحمد محمد الفاتح منصور

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشْهد أن لا إله إلاَّ الله وحْده لا شريك له وليُّ الصَّالحين، وأشْهد أنَّ محمَّداً عبْده ورسوله النَّبيُّ الصَّادقُ الأمينُ، صلى الله عليه وعلى آله وصحْبه وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدّين. أما بعد. .

فإنَّ العلم بهذا الدّين من أجَلِّ العبادات وأعظم القُربات لله تعالى فمن سَلَك طرِيقهُ وسَارَ في دربِه فقد سَلَكَ الطرِيق المُيَسر للجَّنة كما قال الصادق المصدوق، ومن حَازَ هذا العِلم فقد حَاز الدرجات الرَفِيعة عند الله، وهو درجة العلماء كما قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المُجَادلَة : ١١].

وأساس العلم هو معرفة كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم وفقههما بفهم سلف الأمة عليهم رضوان الله.

انطلاقاً مما سبق تسعى جمعية التعليم والتنمية لنشر العلم الشرعي والتدين الوسطي في دولة بوروندي بإقامة الصروح التعليمية التي تخدم مختلف فئات المجتمع، من هذا الصروح التعليمية مركزي البصيرة لتأهيل الدعاة والداعيات، بهدف تخريج دعاة وداعيات، ينشرون نور الإسلام وتعاليمه السمحة وسط المجتمع البوروندي، ويقوم المكتب التعليمي بالجمعية بإعداد المناهج والمقررات، وهذا مقرر أصول الدعوة والخطابة، للفصل الدراسي الثاني.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين

رمضان١٤٤٧هـ – مارس ٢٠٢٦م

د. أحمد محمد الفاتح منصور

jatheera@gmail.com

أصول الدعوة

الحمد لله الذي بفضله تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تُزكَّى الأعمال وبرحمته تُرفع الدرجات. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. (المجادلة:١١) وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق:٤، ٥).

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده الله ورسوله، شرّفه الله بحَمْل رسالته، وتبليغ دعْوته، وخاطَبه بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً} (الأحزاب:٤٥، ٤٦).

اللهمّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه، ومَن دعا بدعْوته إلى يوم الدِّين. وبعد:

المقصود بالدعوة، الدعوة إلى الله، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} ، والمقصود بالدعوة إلى الله: إلى دينه، وهو الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– من ربه –سبحانه وتعالى، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الاصل الأول للدعوة.

تعريف الدعوة:

لغة "الدعوة": المَرة الواحدة من الدّعاء.

و"الدُّعاة": قومٌ يدْعون إلى بَيعة هدىً أو ضلالةٍ، وأحدُهم: داعٍ. ورجُل داعِيَة، إذا كان يدعو الناس إلى دِين أو بدعة، وأُدخِلت الهاء في "داعية" للمبالغة.

الدعوة في اصطلاح العلماء: هي حَثّ الناس على الخَير والهُدى، والأمْر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ليَفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

الدعوة تقوم على مقومات أساسية وهي موضوع دراستنا في هذا المقرر وهي :

أولا: المدعو إليه وهو موضوع الدعوة

ثانيا: الداعي

ثالثا:المدعو

رابعا: أدوات الدعوة وهي وسائل وأساليب الدعوة

وهذه الموضوعات هو موضوع دراستنا في هذا المقرر نتناول أولها وهو موضوع الدعوة.

موضوع الدعوة

إنَّ موضوع الدعوة هو الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى رسوله في القرآن والسُّنَّة المطهرة، ونحن في كلامنا على الإسلام لا نريد التفصيل، كما لا نريد الإيجاز والاختصار، وإنما نريد أن

نبيِّن شيئًا عنه يحتاج إليه المدعوّ داعي جهله ... وعلى هذا الأساس لا بُدَّ من بيان تعريفه وأركانه وأنظمته ومقاصده وخصائصه

أولا: تعريف الإسلام :

وتعريف الإسلام ما جاء في حديث جبريل –عليه السلام؛ حيث جاء بهيئة أعرابي، يسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم؛ ليسمع الحاضرون ويتعلَّموا أمور دينهم، جاء في هذا الحديث: "فأخبرني عن الإسلام" فقال صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا).

ثانيا: أركان الإسلام

الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله

– "أشهد" تدل على معنى العلم والمعرفة والبيان، وتتضمَّن معنى الإقرار والإذعان والاعتقاد.

– **الإله:** "إله" فيراد بها المعبود، وهي تستعمل بمعنى المعبود بحقٍّ أو بباطل، وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} الجاثية :٢٣.

– وعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد –أشهد أن لا إله إلا الله: إنِّي أعلم وأقرّ وأعترف وأعتقد بأن المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى، وأن أبين ذلك وأظهره بلسان وأفعالي وسلوكي.

– من التعريف يظهر أن التوحيد نوعان: ١ –توحيد الألوهية. ٢ –توحيد الربوبية.

١– توحيد الربوبية ومعناه: الاعتقاد بأن الله تعالى وحده هو رب العالمين، والدلائل الدالة على ربوبية الله وتفرُّدِه بها وعدم مشاركة أحد له فيها كثيرة جدًّا، فما من شيء في الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم إلّا وهو يشهد أنَّ الله هو رب العالمين، وبالتالي فهو الْإِلَه الحق للعالمين. إنَّ هذا الكون العجيب الغريب المتناسق المنظَّم يقول بلسان الحال: إن له خالقًا عظيمًا هو الله تعالى.

٢– توحيد الألوهية هو الذي بعث الله به جميع رسله، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} النبياء:٢٦، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النمل :٣٦.

الركن الثاني: شهادة أنَّ محمدًا رسول الله

معنى هذه الشهادة وهذه الشهادة هي الركن الثاني في الإسلام، ومعناها: العلم والتصديق والاعتقاد الجازم بأنَّ محمدًا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رسول الله، وإعلان ذلك وإظهاره وبيانه بالقول والعمل، أمَّا بالقول فبالنطق بهذه الشهادة، وأمَّا بالعمل فيكون بإقامة سلوك الإنسان وجميع تصرفاته القولية والعملية وفق ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– من ربه على وجه الاتباع له، والقبول منه باعتباره رسول الله.

رسل الله كثيرون:

ورسل الله الذين أرسلهم إلى البشر كُثُر، منهم من قصَّ الله علينا أخبارهم، وعرَّفنا بأسمائهم، ومنهم من لم يعرّفنا بهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل: من الآية: ٣٦ ، فكل أمة من أمم الأرض جاءها رسول، وقد لا نعرفه؛ لأنَّ الله تعالى لم يخبرنا باسمه ولا برسالته، قال تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء: ١٦٤.

الحكمة من أرسال الرسل :

حيث إنَّ الإنسان بنفسه لا يستطيع أن يعرف مصالحه وما يصلح له ويصلحون به، على وجه صحيح سالم من الخطأ؛ لأنها فوق قدرة العقل ولتحكم الغرائز الشهوات على بعض الناس يمنعهم من معرفة مصلحته، فقد اقتضت حكمة الربِّ ورحمته بالإنسان أن يرسل للبشر رسلًا من جنسهم، يكلمونهم بلغتهم، ويبلغونهم رسالات ربهم، ويعرفونهم به، ويبينون لهم طرق الوصول إليه، وما يسعدون به في حياتهم وأخراهم، ولهذا كان من لوازم الإيمان بالله ربًّا وإلهًا الاعتقاد برسل الله، وأنَّ إنكار رسله يتضمن الجهل بالله وتنقيصه وعدم تقديره حق قدره، ومن ثَمَّ يكون كفرًا.

وقد ختم الله رسالته بالرسالة الإسلامية التي أوحى بها إلى نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} الأحزاب: ٤٠

الركن الثالث: العمل الصالح ذكر حديث جبريل بعد الشهادة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وتمثل جميعا العمل الصالح.

ماهيّة العمل الصالح:العمل الصالح هو العمل المرضيّ عند الله تعالى، وهو الجامع لشيئين:

الأول: أن يكون وفق الشرع الإسلامي.

الثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله وطاعته.

فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مرضيًّا عند الله، وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب، قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}الكهف: من الآية: ١١٠ ، المقصود بالعمل الصالح العمل الصحيح، أي: الموافق للشرع الإسلامي، والخالص لوجه الله تعالى.

ثالثا : أنظمة الإسلام

تعريف النظام: هو مجموعة القواعد والأحكام التي تنظم جانبا معينا من جوانب الحياة الإنسانية ويصطلح المجتمع على وجوب احترامها وتنفيذها.

النظم الإسلاميَّة مصدرها الإسلام، فأحكامها تأخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية وتأخذ كذلك ما دل عليه القرآن والسنة من مصادر تشريعية مثل القياس والاجماع .

فالأسلام له نظام اجتماعي ونظام اقتصادي ونظام حكم وغيره من الأنظمة التي تسيطر على جميع مناحي الحياة ويدل ذلك على أن الإسلام نظام حياة متكامل ، ومن الخطأ تصور الإسلام أنه عبادات شعائرية يؤديها المسلم مثل الصلاة والصيام فقط بل الإسلام يحكم جميع الحياة، يقول تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٦٢].

النظام الاجتماعي:

مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي تحكم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في الإسلام من الحقائق الثابتة التي أشار إليها العلَّامة ابن خلدون في مقدمته أنَّ الاجتماع الإنساني ضروري، وهو ما يعبّر عنه بقول بعضهم: الإنسان مدني بالطبع، ومعنى ذلك أنَّ المجتمع ضروري للإنسان، وهو ما يؤيده الواقع، فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت فيه.

خصائص النظام الإجتماعي في الإسلام

١- الربانية كون هذه النظام يمثل مجموعة الأحكام المعلقة بالمجتمع التي شرعها لنا الله سبحانه وتعالى بواسطة الوحي من القرآن والسنة ، وكونه رباني يعني أن أحكامه شرعت ممن خلق البشر وهو أعلم بما يصلح لهم وما يفسدهم فهو خالقهم يقول تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلْك : ١٤] فسبحانه يعلم ما يصلح خلقه وما يفسدهم فشرع لهم ما يصلحهم.

٢- الأخلاق ولها آثار ظاهرة في مختلف أنظمته، ومنها: النظام الاجتماعي ، الأخلاق هي الأساس والركن المتين الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية في الإسلام ، فهذا النظام

يمتاز بحرصه الشديد على طهارة المجتمع ونظافته من القبائح والرذائل، فأمر الله بالصدق والأمانة والعدل والمساواة والإحسان وكل خلق حميد ونهى عن كل خلق قبيح ذميم كالكذب الخيانة والظلم والغدر والزنا وجميع الفواحش.

٣- الالتزام بمعاني العدالة الالتزام بمعاني العدالة من أنواع الأخلاق الفاضلة، بل في ذروتها، وإنما أفردناها بالذكر لأهميتها ولتشعبها وتعدد مظاهرها، وبروزها في النظام الاجتماعي الإسلامي، ومما يدل على أهمية العدل في الإسلام ورود الآيات الكثيرة فيه، بالدعوة إليه بصورة عامَّة أو خاصَّة، فمن الآيات التي تأمر بالعدل بصورة عامَّة قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}

٤- العناية بالأسرة الأسرة هي أساس كيان المجتمع؛ لأنَّ من مجموعها يتكوّن المجتمع، ولهذا اهتم الإسلام بتكوين الأسرة والمحافظة عليها فشرع الإسلام الاحكام الكثير المتعلقة بعقد الزواج وحقوق الزوجين وحقوق الأبناء وغيرها كلها لصيانة اللبنة الأولى للمجتمع وهي الأسرة.

٥- تحميل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع، بمعنى أنَّ كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ، ومن أعظم التعاونِ التعاونُ على إصلاح المجتمع، وإذا كان الفرد مطالبًا بإصلاح المجتمع، فمن البديهي أنَّه مطالب بعدم إفساده، قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}

٦- التكافل الاجتماعي هو أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفرادا أو جماعات ، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم ...أو سلبية كتحريم الاحتكار .. بدافع من شعور وجداني عميق)[١] .

التكافل الاجتماعي بهذا المعنى أصل من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ،ويظهر ذلك جلياً من خلال استقراء نصوص الشرع الحنيف،وليس ذكر بعض الأدلة من باب حصر النصوص التي دلت على هذا الأصل،بل هي من باب التمثيل فقط ، فقد أمرت وحثت الشريعة بالإنفاق على المحتاجين والفقراء داخل المجتمع المسلم، وجعلته من القربات التي يتقرب بها

[١] التكافل الاجتماعي في الإسلام عبد الله ناصح علوان دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت، ص٩.

العبد لربه يقول تعالى :﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً ﴾[٢]، وجعلت الشريعة الزكاة ركنا أساسيا من أركان الإسلام الخمسة ،وفرضا على المسلم يجب أداءه ويعاقب على تركها في الدنيا والآخرة ، وإذا نظرنا إلى أهداف الزكاة وأثرها في حياة المجتمع نتوصل إلى : (إن الزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، ذلك التكافل الذي لم يعرفه الغرب إلا في دائرة ضيقة وهي دائرة التكافل المعيشي بمساعدة الفئات العاجزة والفقيرة، وعرفه الإسلام في دائرة أعمق وأفسح بحيث يشمل جوانب الحياة المادية والمعنوية)[٣].

ويدلل على التكافل كذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم)[٤]،وهذا مظهر من مظاهر التكافل ،يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم ويحث عليه .

يتعدى شأن التكافل في الإسلام مجرد الأمر به والحث عليه ،ويصل شأنه إلى نفي الإيمان عمن لا يحس بمعاناة إخوانه وجيرانه ،وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن الذي يبيت وجاره إلى جنبه جائع)[٥]. ومن مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام بل ربما يمكن القول أنها من أسمى عمليات التكافل الاجتماعي في تاريخ البشرية جميعاً ، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

---

[٢] سورة الإنسان :٨-٩

[٣] فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، ط: ٢ ، ١٣٩٣هـ،١٩٧٣م ، ص٨٨٠.

٤ صحيح البخاري: البخاري ، كتاب الشركة ، باب الشراكة في الطعام والنهد والعروض، رقم ٢٣٥٤،ج٢: ص٨٨٠.

٥ المستدرك للحاكم كتاب البر والصلة رقم ٧٣٠٧، ج٤:ص١٨٤.

التكافل أثره عظيم على المجتمع المسلم :هو ترياقً للحقد الاجتماعي ،وأحد وسائل منع الجرائم الناجمة عن الفقر ،يقول عبد الله ناصح علوان[٦] : (ولا يخفي أن مبدأ الزكاة حين طبق في العصور الإسلامية السالفة نجد فيه محاربة الفقر وأقام التكافل الاجتماعي ونزع من القلوب حقد الفقراء على الأغنياء و قلل كثيرا من الجرائم الخلقية والاجتماعية ؛ وذلك بإزالة أسبابها من الفقر والحاجة وعود المؤمنين على البذل والسخاء ، وهيأ سبل العمل لمن لا يجد المال)[٧].

إذن التكافل الاجتماعي أحد وسائل المحافظة على العلاقات الاجتماعية من جهة الوجود ، ويتحقق هذا التكافل بالنفقات الواجبة والمندوبة، وبكل أداة مشروعة تحققه ولا تتعارض مع نصوص الشرع، لثبوت كونه مصلحة تسعى الشريعة إلى تحقيقها

٧- صلة الرحم

اللبنة الأولى للمجتمع المسلم تنشأ من اجتماع رجل وامرأة على وجه مشروع ولكل منهما أصول وينتج عن هذه الأسرة فروع فمن الطبيعي أن ينتمي الفرع للأصل ولا ينقطع الأصل عن الفرع ، هذه العلاقة الطبيعية حض عليها الإسلام ،ورتب الله تعالى عليها الأجر والثواب العظيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه)[٨]، وفي المسند عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل لما خلق الخلق، قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، قالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك)[٩].

فهذا الترابط بين الأصول والفروع والحواشي سبب من الأسباب المؤدية إلى تقوية الروابط الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

---

[٦] عبد الله ناصح علوان ١٣٤٧-١٤٠٧هـ ، الفقيه والداعية ولد في مدينة حلب تخرج من الأزهر كلية أصول الدين ١٩٥٢م حصل على الدكتوراه من باكستان ، دَرَسَ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، و من مصنفاته أحكام الزكاة على ضوء المذاهب الأربعة وتربية الاولاد في الإسلام والتكافل الاجتماعي في الإسلام وغيرها .تكملة معجم المؤالفين : عمر رضا ، ص ٣٥٦.

٧ التكافل الاجتماعي في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ،ص٦٢

[٨] صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب من أحب بسط الرزق، رقم ٢٠٦٧، ج٣/ ص٥٦

[٩] مسند الإمام أحمد ، رقم ٨٣٦٧ ، ج١٤/ص ١٠٣

٨- منع فساد ذات البين

بعث الله الرسل وانزل الكتب وأقام الشرائع تحقيقا لمصلحة الناس، يقول بن عاشور : (مراد الله في الأديان كلها منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد وهو حفظ نظام العالم وصلاح أحوال أهله فالصلاح مراد لله تعالى .... وقال تعالى على لسان بعض رسله ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١٠])[١١]فإذا كان تحقيق الصلاح مقصود الشرائع كلها فإن الفساد الذي هو ضد الصلاح سعت الشرائع كلها بوجه عام و الشريعة الإسلامية بوجه خاص لمنعه في كل مناحي الحياة قال تعالى: ﴿وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾[١٢]،ومن أعظم الفساد ما كان في العلاقات الاجتماعية بين الناس . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة)[١٣]وذات البين هي: (الخصلة التي تكون وصلة بين القوم من قرابة ومودة ونحوهما)[١٤]، فعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فسادها بالحالقة لعظم ما يترتب على فساد البين من أضرار على الأفراد والمجتمعات والدول، فإذا كانت الحالقة تذهب بالشعر ولا تترك منه شيئا فإن فساد ذات البين يذهب بالدين ولا يبقي منه شيئا.

---

[١٠] سورة هود : ٨٨

[١١] أصول النظام الاجتماعي في الإسلام : ابن عاشور ص :١٠

[١٢] سورة البقرة : ٢٠٥

[١٣] سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.ج٤:ص٢٨٠، مسند الإمام أحمد ،د.ت، كتاب الأدب ، باب اصلاح ذات البين،رقم٤٩١٩ ج٦: ص٤٤٤.

[١٤] تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت: ٦٨٥هـ، تح : لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م ، ج٣: ص٢٦٤ .

المتأمل للأحكام الشرعية المبثوثة في كثير من ابواب الفقه يجدها وتضع السياجات العالية والأسوار المنيعة لمنع فساد ذات البين من هذه الاحكام على سبيل المثال النهي عن بيع وخطبة المسلم على بيع وخطبة اخيه فعَن أَبِي هريرة رضي اللَّه عنه، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن ... وَلاَ يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلاَ تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا)[١٥]،يقول ابن القيم[١٦]:(أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم أخيه أو يبيع على بيع أخيه، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي)[١٧]، ومنها كذلك النهي عن زواج المرأة على عمتها وخالتها، فعن جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُنْكَحَ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا)[١٨]،يقول بن القيم : (حتى لو رضيت المرأة بذلك لم يجز؛ لأن ذلك ذريعة إلى القطيعة المحرمة)[١٩].

[١٥] صحيح البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب لا يبع على بيع أخيه ، رقم ٢١٤٠، ج٣/ص ٦٩ ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم الخطبة على الخطبة ،رقم ١٤١٣، ج٢/ص١٠٣٣.

[١٦] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية اخذ عن جماعة و لازم ابن تيمية وعتقل معه بالقلعة ، من تصانيفه مفتاح دار السعادة ،والتفسير القيم ، وزاد المعاد ومراحل السائرين بن منازل إياك نعبد وإياك نستعين وغيرها كثير ت ٧٥١هـ . الوفي بالوفيات : خليل ايبك الصفدي ج٢/ ص١٩٦، ذيل طبقات الحنابلة: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي ت: ٧٩٥هـ، تح: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض ،ط: ١ ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م ج٥/ص١٧٥.

[١٧] إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: ١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.ج٣/ص ١١٧.

[١٨] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تنكح المرأة على عمتها ، رقم ٥١٠٨،ج٧/ص ١٢، صحيح مسلم، كتاب النكاح ، باب تحريم الجميع بين المرأة وعمتها وخالتها، رقم ١٤٠٨،ج٢/ص ١٠٢٨،

[١٩] إعلام الموقعين عن رب العالمين ج٣/ص ١١

النظام الاقتصادي:

تعريف النظام الاقتصادي : مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي يقوم عليها المال وتصرف الانسان فيه.

ويمكن بيان أبرز المبادئ الكبرى لنظام الإسلام في الاقتصاد في العناصر الآتية:

المبدأ الأول : الاستخلاف:

إذا كان المالك للمال هو الله سبحانه وتعالى فإنه قد استخلفنا في هذه الأموال عمن كان قبلنا ، وأمرنا أن نقوم بحق هذا الاستخلاف من عدم صرف المال في المحرمات أو الإسراف في المباحات ،كما أمرنا بإنفاق بعضه في وجوه الخير والإحسان وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)الحديد : ٧

فالإنسان المؤمن بالله يملك المال ولا يملكه المال ، إنه يجعله في يده لا في قلبه ، إنه يسعى لتحصيله واستثماره بما أباح الله لا بما أوحى إليه هواه واشتهت نفسه. أن المال في نظره وسيلة وطريق ، ذلك أن هدفه في هذه الحياة أعظم وأجل ، إنها طاعة الله التي خلق لها قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)الأنعام : ١٦٢-١٦٣.

المبدأ الثاني : المال وسيلة لطاعة الله:

تتفاوت الفلسفات والأديان في نظرتها للمال تفاوتاً متبايناً ، فحينما نجد الأفكار التي ترفض المال ومتع الدنيا معه وتصور أنها شر يجب الخلاص منه، نجد في مقابل ذلك تلك الأفكار التي تقدس المال وتجعله هو الإله الذي يجب أن يُعبد.

فالإنسان المؤمن بالله يملك المال ولا يملكه المال ، إنه يجعله في يده لا في قلبه ، إنه يسعى لتحصيله واستثماره بما أباح الله لا بما أوحى إليه هواه واشتهت نفسه. أن المال في نظره وسيلة وطريق ، ذلك أن هدفه في هذه الحياة أعظم وأجل ، إنها طاعة الله التي خلق لها قال تعالى :

(قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)الأنعام : ١٦٢-١٦٣.

المبدأ الثالث : كفاية الخيرات لحاجات البشر:

يقرر الإسلام أن الخيرات التي أودعها الله في الأرض والتي سيودعها كافية لحاجات البشر من الغذاء والكساء والسكن وسائر الضرورات والحاجات التي يحتاج إليها الإنسان بل وكل دابة في الأرض كما قال تعالى :(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) فصلت:٩-١٠ .

المبدأ الرابع: توزيع الثروة على المجتمع

النظام الاقتصادي الإسلامي يسعى إلى توزيع الثروة على المجتمع وعدم تكدس الثروة في يد مجموعة قليلة من المجتمع واتخذ النظام الإسلامي وسائل عديدة لذلك منها الزكاة فأنها مال يخرجه أصحاب الثروات ويوزع على عدد من أفراد المجتمع وكذل الميراث فأن المال يكون ملك لشخص وأحد فإذا مات توزع ثروته على الورثة من الإباء والابناء والزوجات فيتوزع المال على عدد من الناس بعد أن كان مالكه شخص وأحد . ويظهر مبدأ توزيع الثروة وتفتيت ثروات الأغنياء في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحَشْر : ٧].

الأصول الأخلاقية للنظام الاقتصادي في الاسلام:

يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على أصول أخلاقية لا تنفك عنه في جميع أجزائه، ومن هذه الأصول :

١-قيام المعاملات المالية على التراضي :

أحد المقومات الأساسية لصحة العقد في التشريع الإسلامي رضا الطرفين بإبرام العقد يقول تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ) النساء :٢٩. فيحرم العقد إذا خلا من الرض

٢-المصلحة الشخصية لا تكون على حساب مصلحة شخص آخر : التشريع الاسلامي يدعوا المسلم داخل المجتمع الا يسعى لتحقيق مصالحه الشخصية فقط دون مراعاته مصالح الاخرين ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢٠].

ويقوم على هذا الأصل تحريم الغش لكون الذي يغش يريد مصلحته مع إضراره بمصلحة غيره يقول صلى الله عله وسلم : (ومن غشنا فليس منا)[٢١] ، ومن هذا الباب حرمت كثير من الأفعال منها :

أ- التطفيف في الكيل والميزان يقول تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)المطففين : ١-٣.

ب- منع النجش: والنجش هو: أن تعطيه بسلعته أكثر من ثمنها. وليس في نفسك

ت- اشتراؤها. فيقتدي بك غيرك[٢٢]. وقد جاء في السنة : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم نَهَى عن النجش)[٢٣].

---

[٢٠]صحيح البخاري – (١ / ١٢)، صحيح مسلم – (١ / ٦٧)

[٢١]صحيح مسلم – (١ / ٩٩)

[٢٢]موطأ مالك ت – (٤ / ٩٨٧)

[٢٣]صحيح البخاري – (٣ / ٧٠)

٣- السماحة[٢٤] : السماحة تشمل الأخلاق السامية في المعاملة، وتعتمد على القيم النبيلة في التجارة

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم،: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[٢٥]

٤- الصدق : أعلى الإسلام من شأن الصدق حتى اتصف به ربنا عز وجل قال تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) النساء: ٨٧ ، وأمر النبي المسلمين أن يتخلقوا به في سائر أمور حياتهم وخص التجار وحثهم على التزام الصدق ورتب لهم الأجر العظيم في الأخرة يقول صلى الله عليه وسلم : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ)[٢٦].

نظام الحكم:

جاء الإسلام في السياسة بالأصول العامة، والقواعد الكلية، وترك جزيئاتٍ أخرى لم يحددها رحمة بالناس. وأظهر ما نص عليه، وأعظمه في هذا الشأن هو المبادئ التالية:

١- الحكم لله تعالى، فهو ﷻ صاحب الحقِّ في التشريع، وأحكامه ثابتة تمضي بلا ردٍّ، وتسري على الرعاة والرعايا، فاعتبار أمام نص الوحي للرأي العام، ولا لأغلبية نيابية، ولا لتوجهات زعيم أو حزب. يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ٦٥] ٦٥

٢- الالتزام بالشورى واجبٌ مفروضٌ على ولي الأمر، وحقٌّ مشروعٌ للرعية فيما لا نصَّ فيه. ﴿فَوَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٩]

٣- إقامة العدل والإحسان، ومحاربة الظلم والتمييز بين الناس لأي سبب من الأسباب الوضعية. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحْل : ٩٠]

٤- تحقيق الحرية المسئولة لجميع الرَّعايا، كالتعبير عن الرأي الصريح المشروع، واختيار الأعمال، والمشاركة في الحياة العامَّة،واحترام جميع المباحات، وحماية جميع الحرمات- مثل:

---

[٢٤] التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ، علي علي صبح ،المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م ، (١ / ١٦٧)

[٢٥]- صحيح البخاري – (٣ / ٥٧)

[٢٦] سنن الترمذي ت بشار – (٢ / ٥٠٦)

الحياة والملكية والمسكن والعرض والمال– وكل ذلك وفق قيم الإسلام وأحكامه، با استهتار أو اعتداءٍ من كائنٍ من كان.

رابعا : مقاصد الإسلام

مقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف والحكم التي جاءت الشريعة من أجل تحقيقها

إنَّ مقاصد الإسلام التي دلَّ استقراء نصوص الشريعة عليها، هي تحقيق مصالح العباد وردء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل، وبهذا كله تتحقق لهم السعادة الحقة في حياتهم هنا وحياتهم هناك، وبهذا صرَّح المحققون من علماء الإسلام، قال الإمام العز بن عبد السلام: "إن الشريعة كلها مصالح؛ إمَّا درء مفاسد، أو جلب مصالح"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها"

أنواع مصالح العباد:

مصالح العباد التي يعنَى بها الإسلام إيجادًا وحفظًا هي ثلاثة: المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وقد شرع الإسلام من الأحكام ما يحقق هذه المصالح ويحفظها، فيتحقق للناس سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ميزان المصلحة والمفسدة:

ميزان المصلحة والمفسدة هو الإسلام، فما شهد له الإسلام بالصلاح فهو المصلحة، وما شهد له بالفساد فهو المفسدة، والخروج عن هذا المعيار معناه اتباع الهوى، والهوى باطل لا يصلح لتمييز الصلاح من الفساد، قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} سورة ص :٢٦ .

خامسا: خصائص الإسلام :

الخصيصة الأولى: إنه من عند الله

مصدر الإسلام ومشرِّع أحكامه ومناهجه هو الله تعالى، فهو وحيه إلى رسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم– باللفظ والمعنى "القرآن الكريم"، وبالمعنى دون اللفظ "السنة النبوية"، فالإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافًا جوهريًّا عن جميع الشرائع الوضعية؛ لأن مصدرها الإنسان، أما الإسلام فمصدره رب الإنسان. إن هذا الفرق الهائل بين الإسلام وغيره لا يجوز أغفاله مطلقًا، ولا التقليل من أهميته. الآيات الدال على ذلك منها قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}. {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}

ويترتَّب على كَوْن الإسلام من عند الله كماله وخلوه من معاني النقص والجهل والهوى والظلم؛ لسبب بسيطٍ واضح، هو أنَّ صفات الصانع تظهر في ما يصنعه، ولمَّا كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فإنَّ أثر هذ الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بُدَّ أن يكون كاملًا، وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه، فإنه لا ينفكُّ عن معني النقص والهوى والجهل والجَوْر؛ لأنَّ هذه المعاني لاصقة بالبشر، ويستحيل تجردهم عنها كل التجرُّد، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والشرائع التي يصنعونها.

الخصيصة الثانية: الشمول

قلنا في بعض تعاريف الإسلام أنَّه نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان، إنَّ هذا الوصف للإسلام وصف حقيقي ثابت للإسلام، لا يجوز تجريده منه إلّا بالافتراء عليه أو بسبب الجهل به، وشمول الإسلام هذا لشئون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمول تامّ بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشرية، فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي ينظم شئونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك، وعلى هذا فلا يمكن للمسلم أن يقول: إنَّ هذا المجال لي، أنظِّم أموري كما أشاء بمعزل عن تنظيم الإسلام، لا يمكن أن يقول المسلم هذا؛ لأن الإسلام يحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه، وللإسلام في كل ما يصدر الإنسان حكم خاص، كما له حكمه في كل ما يضعه في رأسه من أفكار، وفي قلبه من ميول، وعلى هذا لا يجوز للمسلم أبدًا أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم أي جانب من جوانب حياته؛ لأنه إن فعل ذلك في نطاق معنى قول الله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} .

الخصيصة الثالثة: العموم

من بديهات الإسلام وصفاته الأصلية أنَّه جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفة معينة منهم، أو لجنس خاصٍّ من أجناسهم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} ، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وعموم الإسلام هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن، أو جيل خاصٍّ من البشر، وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان، ولهذا فهو باقٍ لا يزول ولا يتغير ولا ينسخ؛ لأن النسخ يجب أن يكون في قوة المنسوخ، سواء أكان النسخ كليًّا أو جزئيًا، وحيث إنَّ الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، وإنَّ محمدًا –

صلى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فمعنى ذلك أنَّ الشرائع الإلهية انقطعت، وأنَّ الوحي الإلهي لم يعد ينزل على أحد، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ، وعلى هذا لا يتصوَّر أن ينسخ الإسلام أو يغيره شيء.

الخصيصة الرابعة: الجزاء في الإسلام

أحكام الإسلام ليست نصائح وإرشادات خالية من الثواب والعقاب، إنها ارشادات ونصائح حقًّا، ولكن لها ثواب حسن ينال الملتزم بها، ولها عقاب يصيب المخالف لها، على درجات متفاوتة في العقاب والثواب.

والأصل في أجزية الإسلام وعقوباته أنَّها في الآخرة لا في الدنيا، ولكن مقتضيات الحياة وضرورة استقرار المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد على نحوٍ واضحٍ مؤثِّر وضامن لحقوق الناس، كل ذلك دعا إلى أن يكون الجزاء الأخروي جزاء دنيوي، أي: مع العقاب الأخروي عقاب توقعه الدولة في الدنيا على المخالف لأحكام الإسلام.

ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة، ومن ثَمَّ فأجزية الإسلام تتعلق بأمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها في الآخرة، وقد يكون لها جزاء في الدنيا أيضًا.

والجزاء في الدنيا لا يمنع الجزاء في الآخرة على المخالف العاصي، إلّا إذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح، والتوبة النصوح تقوم على الندم على ما اقترفه الإنسان، وعلى العزم الأكيد على عدم العودة إلى هذه المخالفة، وعلى التحلُّل من حقوق الغير إذا كانت معصية تتعلق بهذه الحقوق.

الخصيصة الخامسة: المثالية والواقعية

المثالية في الإسلام المقصود بالمثالية:

قلنا: إنَّ الإسلام يحرص على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له، وهذا يكون بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق المناهج والأوضاع والكيفيات التي جاء بها الإسلام، وقد تحقق ذلك كله في رسول الله –صلى الله عليه وسلم، ولذلك أمرنا الله تعالى بالتأسي به {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} ، وقوام هذه المثالية الاعتدال والشمول.

أولًا: الاعتدال

ونقصد بالاعتدال عدم الإفراط والتفريط في أي شيء، واعطاء كل ذلك حق حقه، يدل على ذلك قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} ، وقال تعالى:

{وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} وقال –صلى الله عليه وسلم: "خير الأمور أوسطها".

والاعتدال مطلوب حتى في العبادات، فلا ينبغي للمسلم أن يرهق نفسه أو يؤذي جسده، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن أنس –رضي الله عنه– قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنَّهم تقالّوها، قالوا: أين نحن من رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

الواقعية في الإسلام

والإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، وفي ضوء هذا النظر الواقعيّ جعل الإسلام حدًّا أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه؛ لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحوٍ معقول؛ ولأنه أقل ما يمكن قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين؛ ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع بها، وهي المسماة بالفرائض، كما يشمل جملة معان يجب هجرها، وهي المسماة بالحرمات. إن هذه الفرائض والمحرمات جعلت بقدر طاقة أقل الناس استعدادًا لفعل الخير، والمستوى الرفيع هو من يفعل المستحبات والمندوبات من الصلوات والصيام والصدقة وغيرها من الطاعات . ويمثل هذا ما في صحيح مسلم عن جابر، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم النعمان بن قوقل، فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أأدخل الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم»،

الـــدَّاعِـــي

الدَّاعِي هو المكلَّف شرعًا بالدعوة إلى الله، فلا بُدَّ من التعريف به وبيان أدلة تكليفه، والداعي وهو يقوم بهذ التكليف الشرعي يحتاج إلى عدَّة تعينه على أداء ما كُلِّفَ به، وتسهيل عليه هذه المهمة العظيمة، كما يحتاج إلى نوع معين من الأخلاق الإسلامية أكثر مما يحتاجه غيره.

الداعي الأول إلى الله تعالى بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام، هو رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأَحْزَاب : ٤٥ - ٤٦] ، وقد كرَّر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها وعدم التحوّل عنها، فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ [الحَج : ٦٧]

الدعوة إلى الله وظيفة رسل الله:

- الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعًا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى عن نوح –عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ٥٩﴾ [الأَعْرَاف : ٥٩] ، وهكذا جميع رسل الله دعوا إلى الله، إلى عبادته وحده، التبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ، فرسل الله هم الدعاة إلى الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس.
- الأمة الإسلامية شريكة للرسول عليه الصلاة والسلام في الدعوة يقول الله تعالى : قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ١١٠﴾ [آل عِمْرَان : ١١٠] . فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين:

الأول: خيرية هذه الأمة.

والثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله ورسل الله جميعًا.

عدة الداعية :

ما يحتاجة الداعية هو :

١- العلم قبل العمل: قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} ، فقدَّم العلم على العمل، والواقع أنَّ تقديم العلم على أيِّ عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد.

٢- الإيمان العميق حقيقة الإيمان العميق:نريد بالإيمان العميق أنَّ الداعي المسلم تيقَّن بأنَّ الإسلام الذي هداه الله إليه، وأمره بالدعوة إليه، حقّ خالص؛ لأنه هُدى الله، وما عداه باطل وضلال قطعًا، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} ١، {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} ٢، وإنَّ هذا اليقين بأحقية الإسلام صار عند الداعي المسلم كالبدهية وكالواحد زائد واحد يساوي اثنين، ومن ثَمَّ لا تقبل هذه البدهية أيَّ نقاش أو جدال أو شكٍّ أو مراجعة أو إعادة نظر.

٣- الاتصال الوثيق :نريد بالاتصال الوثيق تعلُّق الداعي المسلم بربه، وتوكله عليه في جميع أموره؛ لتيقنه بأنَّ الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير والضرر والنفع والعطاء، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الله تعالى يكفي من يتوكل عليه ويفوّض الأمور إليه {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}

٤- أخلاق الداعي هي أخلاق الإسلام: أخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بَيَّنَها الله تعالى في قرآنه، وفصلها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في سنته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكلِّ مسلم، وما عليه إلّا أن يعرض نفسه عليها؛ ليزن نفسه في ميزانه، ليعلم ما عنده منها، وما لم يصل إليه بعد منها.

آفات تصيب الداعية :

١- الرياء من أهم الأمراض والآفات التي قد تُصيب بعض الدعاة: "الرياء":

والرياء: هو طلب المنزلة والتّعظيم عند الناس، بعملِ الآخِرَةِ، كالذي يُصَلّي ويصوم ويتصدق ويحج ويُجاهدُ، ويقرأ القرآن ويُعلّم العِلْم، ويدعو إلى الله –عز وجل– ليُعَظّمه الناس لذلك، ويثنوا عليه ويعتقدوا به، ويقوموا على إكرامه والإغداق عليه؛ فذلك هو المرائي، وقد سَمّى الرسول –صلى الله عليه وسلم– الرياء الشرك الأصغر؛ فقال –عليه الصلاة والسلام–: ((أخوفُ ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر؛ قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء)). واعتبر النبي –صلى الله عليه وسلم– الرياء من المُهلكات التي تحبط العمل. وقد حدرنا الله منه

اشد الحذر قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [المَاعُون : ٤ - ٦]

علاج الرياء في نظر الإسلام يكون في وسيلتين هامتين أساسيتين:

الأولى: في اقتلاع جذوره من النفوس. بتعميق مراقبة الله عز وجل في نفسية الداعية،التذكر الدائمًا لمآل المُرائين ومصيرهم، وأن يعود نفسه إخفاء الاعمال الصالحة وعدم اظهارها للناس والثانية: في دفع ما يخطر له في الحال.

٢- العُجْب: العجب: هو استعظام النعمة، والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المُنعم. فبناء على هذا التعريف نقول: إن المُعْجَب بنفسه هو مَن أعطاه الله تعالى علمًا أو جاهًا، أو قوةً، أو جمالَ هيئةٍ أو نسبًا أو مالًا، أو كثرة أولاد، أو عقلًا وفطانة، أعطاه الله تعالى هذا أو بعض منه، ثم لا يخاف ما أعطاه الله من نعمة زوالها، ولا يَنْسب هذه النعمة إلى الله.

علاج العجب فهو على الداعية أن يعلم أن الله –عز وجل– هو المنعم عليه، أن يَعْلَم أنه إذا تمادَى في العجب واستمر عليه فإنه يتدرج في الكبر

٣- الكِبر ،وهو خُلقٌ باطني في الإنسان تصدر عنه أعمال ظاهرة هي ثمرته، هذه الأعمال لا تخفى على كل ذي عقل وبصيرة، فحين يراها الرائي يعلم علمًا أنها من علامات الكبر وظواهر الخيلاء. يوجد الكبر من أمور ثلاثة هي: أن يرى لغيرة منزلة، ويرى لنفسه منزلة، ويرى أن منزلته فوق منزلة غيره.

٤- مخالفة ما يدعو الناس له وهذا الخلق حذر الله منه يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[الصَّف:٢ -٣]، فإن هذا الفعل خطره على الدعوة عظيم فإن يصد الناس عن الدين ويكون الداعية سببا في صد الناس عن الدين بل أن يكون داعيا لهم .

المَـــدعُـــو

من هو المدعو؟

المدعو هو الإنسان، أيّ إنسان كان، هو المدعو إلى الله تعالى؛ لأنَّ الإسلام رسالة الله الخالدة، بعث الله به محمدًا –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس أجمعين، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} ، فالدَّعوة إلى الله عامَّة لجميع البشر، وليست خاصَّة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة.

حقوق المدعو:

١– إتيان المدعو في مكانه، الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل الداعي الأوّل نبينا الكريم –صلى الله عليه وسلم، يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسِم قدومها مكة ويدعوه

٢– الشفقة على المدعو أن يموت على ضلاله وهذا هديه صلى الله عليه وسلم في شفقته على عباد الله، وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر، كل ذلك كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم، وتبلغهم الدعوة إلى الله.

٣– لا يستهان بأيِّ إنسان: لا يجوز للداعي أن يستصغر بشأن أيِّ إنسان أو أن يستهين به فلا يدعوه؛ لأنَّ من حق كل إنسان أن يدعى، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعي وزنًا سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه، وهكذا كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه.

أصناف المدعوين

في كل مجمتع يوجد صنفين من الناس هم:

١– الصنف الأول ويسميهم القرآن "الملأ" سادة وأشراف لهم نفوذ فيه، وقد يكون بأيديهم السلطان.

٢– الصنف الثاني جمهور الناس وعامتهم.

الصنف الأول : يسميهم القرآن "الملأ" يَسْتَعمل القرآن الكريم كلمة "الملأ" في قصصه عن الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم، "والملأ" كما يقول المفسرون: هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساءهم وساداتهم، فهم إذن البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه، الذين يعتبرهم الناس اشرافًا وسادة، وقال تعالى عن سيدنا نوح –عليه السلام: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّـي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} ، فالملأ من قوم نوحٍ هم الذين تصدَّوا للدعوة إلى الله، وهم الذين نسبوا نبيهم إلى الضلال المبين.

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ، أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ}. والملأ في الآية الكريمة هم سادة قريش وقادتها ورؤساؤها وكبراؤها.

أسباب عداوة الملأ للدعوة إلى الله:

١- الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة مستقِرَّة في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة، ومواقف متعددة، ومن آثاره: عدم رؤية الحق في غالب الأحيان، أو رؤيته ولكنَّ الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له، كما يمنع الاعتراف بالفضل لأولي الفضل. {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} ، ففرعون وقومه أنكروا نبوة موسى –عليه السلام، مع أنَّ نفوسهم أيقنت بها وكان الحامل لهم على إنكارها ظلمهم وتكبُّرهم على موسى –عليه السلام.

٢- حب الرياسة والجاه "والملأ" يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد، ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس في قصة نوح عليه السلام قال تعالى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ}"فالملأ" دفاعًا عن رياستهم على الناس وتسلطهم عليهم يقولون لقومهم: إنَّ نوحًا بدعوته هذه يريد أن يتفضَّل عليكم، أي: يترفَّع ويتعاظم عليكم ويترأس عليكم.

٣- الجهالة "والملأ" غارق في الجهالة ولا يشعر بجهالته، ال تعالى عن قوم نوح: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} ، فهم لجهالتهم يقولون لنبيهم نوح –عليه السلام: لست بمَلَك ولكنك بشر، فكيف أوحي إليك من دوننا.

الصنف الثاني: **جمهور الناس وعامتهم** وهم أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى الحق، فهم أتباع رسل الله، يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم، كما قال هرقل لأبي سفيان يوم اجتمع به في الشام لمَّا سمع هرقل بأنه من مكة، فأراد أن يسأل عن أخبار النبي –صلى الله عليه وسلم،

قال هرقل: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: هم أتباع الرسل ، وقال الملأ من قوم نوح عليه السلام: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا} .

أسباب سرعة استجابة الجمهور للحق وقبولهم الدعوة إلى الله، أنَّهم خالون من موانع القبول الموجودة في "الملأ"، كحب الرياسة والتسلُّط والأنفة من الانقياد للغير لكبرهم النفسي.

يتأثر الجمهور بالملأ:

الجمهور أكثر استجابة للحقِّ من غيرهم، وقلنا: هناك احتمال لتأثُّر الجمهور بالملأ وباطله، فلماذا يكون هذ التأثر بالباطل مع وضوح الحق وعدم وجود الموانع للاستجابة عند الجمهور؟ الجواب عن ذلك يرجع إلى جملة أسباب:

١- الخوف، فلا شك أنَّ الملأ الكافر وبيده القوة والنفوذ والمال يستطيع أن يرهب الجمهور ويخوفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه، وهذا الخوف قد يثبِّط الهِمَمَ والعزائم عند أكثر الجمهور طلبًا لسلامة أنفسهم من الأذى، قال تعالى: {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ}.

٢- ثانيًا: الإغراء بالمال وحطام الدنيا، فإنَّ الملأ يملكون ذلك ويلوّحون به إلى الجمهور إن تابعوهم على باطلهم ورضوا بقيادتهم لهم، وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى عن قوم نوح، قال ربنا -عز شأنه: {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}.

٣- الشبهات، الملأ لا يكتفي بالقوة والبطش والتخويف لصدِّ الجمهور عن دعوة الحق، وإنما يسلك معهم سبيل الشبهات، وهذه الشبهات أنواع كثيرة، منها: رمي الداعي إلى الله بالجنون والضلال والسفاهة، وقد ذكرنا بعض الآيات الكريمة عن قوم نوح وهود ومنها: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} ، وعن هود: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} ، ومن شبهاتهم قولهم: إن الرسول بشر.

أساليـب الـدعـوة

تمهيد:

تقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعوين ومعرفة الدواء، والتأكيد على ذلك، وإزاحة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به، وترغيبهم في استعمال الدواء، وترهيبهم من تركه، ثم تعهُّد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم؛ لتحصل لهم المناعة ضدَّ دائهم القديم.

أولا: معرفة الداء والدواء

إنَّ طيب الأبدان يشخِّص الداء أولًا، ثم يعيِّن العلاج ثانيًا، وهذا هو الأسلوب الصحيح في المعالج، والداعي إلى الله تعالى طبيب القلوب والأرواح.

جهلهم الناس بربهم وشردوهم عنه هو أصل داء في القديم والحديث ، وكذلك كفرهم ورفضهم الدخول في العبودية الكاملة له، والسير على النهج الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– من ربه، واغترارهم بالدنيا وركونهم إليها، وغفلتهم عن الأخرة أو إنكارهم لها، هذه هي مقوّمات الداء، مَّا أصل الدواء لهذ الداء فهو الإيمان بالله ربًّا وإلهًا لا إله غيره، والكفر بالطاغوت بكل أنواعه ومظاهره، والإقبال على الله وعدم الركون إلى الدنيا، قال تعالى عن نوح –عليه السلام: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} ، فعلى الداعي المسلم في دعوته إلى الله تعالى أن يؤكِّد على معاني العقيدة الإسلامية، فهي الدواء لأصل الداء الذي بيناه. ثم يأتي بعدها مشكلات كل مجتمع على حدة. فين كان فيهم عدم الأمانة كثر حديث الداعية عن الأمانة والأخلاق ومن كان فيهم الفاحشة كان حديث الداعية عن تجنب الفواحش واثارها الضارة .

ثانيا: إزالة الشبهات

المقصود بالشبهة هنا: ما يثير الشكَّ والارتياب في صدق الداعي وأحقية ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة، وغالبًا ترتبط الشبهة بعادة موروثة، أو مصلحة قائمة، أو رياسة دنيوية، أو حمية جاهلية، فتوثِّر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء والغالب أنَّ "الملأ" هم الذين يثيرون الشبهات ويزينونها للناس، ويشيعونها فيما بينهم، ويكررونها على مسامعهم حتى تألفها نفوس البسطاء من عامَّة الناس، ويأخذون في ترديدها، ثم تصديقها، ثم تبنّيها واعتبارها كالحقائق الثابتة.

ليعلم الداعي أنَّ إثارة الشبهات في وجه الدعوة إلى الله أمر قديم مضت به سنة الله في العباد، وإنما يتغيِّر فيها الأسلوب والكيفية، قال تعالى مخاطبًا نبيه الكريم محمدًا: {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}.

والشبهات أنواع، منها ما يتعلق بالداعي، ومنها ما يتعلق بموضوع الدعوة، ومنها ما يتعلق بعموم المدعوين.

أهم الشبهة أمام الدعوة إلى الله :

١- الطعن في الدعاة قال مشركوا العرب عن نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}

٢- الإفساد في الأرض وطلب الرئاسة على الناس: ومن شبهاتهم التي يثيرونها حول الداعي أنَّه يريد العلوَّ في الأرض والرياسة ، قال تعالى: {قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

٣- رميهم الدعاة بالاتصال المشبوه، وأنَّ دعوتهم من خرافات الماضيين قال تعالى :{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

٤- الداعية رجل مغمور غير معروف الوه لسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

٥- اتباع الداعية أناس مغمورون ضعفاء قال تعالى عن قوم نوح: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}

وليعلم الداعية أن شبهات الكافرين والمجرمين متشابهة عبر التاريخ البشري يقول تعالى :(وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) البقرة: (١١٨)

ثالثا: الترغيب والترهيب

الأسلوب الثالث في الدعوة هو الترغيب والترهيب، نقصد بالترغيب: كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. ونقصد بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. والملاحظ أنَّ القرآن الكريم مملوء بما يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم.

من امثلة الترغيب والترهيب في القرآن الكريم – وقال تعالى عن رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}

رابعا: التربية والتعليم

من الأساليب المهمة وهي هدف لدعوة التربية والتعليم ، فإذا حصلت الاستجابة وقَبِلَ المدعوُّ الدعوةَ إلى الله، وهداه الله وشرح صدره للإسلام، وجب على الداعي أن يتعهَّده بما يكفل له المناعة ضد الداء القديم، ويبصِّره بمعالم الدين، ويثبِّته عليه، وذلك بتعليمه معالم الإسلام ومعانيه وأفكاره، قال تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) البقرة :(١٢٩)، فهذه مهمة ووظيفة الرسل تعليم الناس ما أنزل الله من كتب والحكمة وهي العلم والسنة والتزكية هي التربية بتطهير وتخلية النفوس من الفساد وتحليتها بكل بالإيمان والخير.

وسائـل الــدعوة

تمهيد:

نريد بالوسائل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحوٍ نافع مثمر، وهي نوعان: وسائل تتعلّق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال الجيِّد المساعد لتبليغ الدعوة إلى الله، ونسميها بالوسائل الخارجية للدعوة، ووسائل تتعلّق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة، ونسميها وسائل تبليغ الدعوة

أولاً: االوسائل الخارجية للدعوة

أساس هذه الوسائل النظرة الصحيحة لواقع الحياة وجريان أحداثها وفق قانون الأسباب والمسببات، وهذه الوسائل كثيرة، نذكر منها: الحذر، والاستعانة

١- **<u>الحـذَر</u>**

الحذر في اللغة: الخفية والتحرُّز والتيقُّظ، ورجل حذر، أي: متيقظ، فهو متحرِّز ومتأهب لما يخاف أن يفاجأ به من مكروه، الحذر ممدوح غير مذموم: ومن تعريفه باللغة يتبيِّن لنا أنَّه يقوم على أساس المعرفة وأخذ الحيطة، فالحَذِرُ يعرف مدى ضرر المكروه المتوقع حصوله، فيخاف من وقوعه خوفًا يدفعه إلى أخذ الحيطة والتحرز، ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه، أو لدفعه إذا وقع، أو لتقليل أضراره وأذاه، فهو ليس بخوفٍ مشوب باستسلام وقعود وانخلاع الفوائد واضطراب الفكر وتشوّش البال، واليأس من الخلاص، والاستسلام له قبل الوقوع، ولهذا فالحذر بالمعنى الذي بيَّنَّاه محمود غير مذموم، وهو من صفات أهل الإيمان والعقل السليم والفهم الدقيق لسنن الله في الكون، لا من صفات أهل الطيش والحماقة والجهالة وقِصَر النظر قال تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً...) النساء : ١٠٢ ، هذه الآية الكريمة تدلّ دلالة صريحة قاطعة على وجوب أخذ الحَذَر.

ويدل على الحذر من السنة عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: أتانا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلمَّا رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذه الساعة إلّا لأمر حدث، قالت: فلمَّا دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وليس عند أبي بكر إلّا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: أخرج عني من عندك، فقال: يا رسول الله،

إنما هما ابنتاي، فداك أبي وأمي، فقال: إنَّ الله أذِنَ لي في الخروج والهجرة٢، وفي أخبار هذه الحادثة أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– خرج وأبو بكر من باب صغير في ظهر بيت أبي بكر، ومضيا إلى غار بجبل ثور، فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دمًا، وقد نسج العنكبوت وعشعشت حمامتان على باب الغار٣، ففي هذا الخبر والذي قبله دليل قاطع على وجوب الحذر.

أنواع الحذر:

أ– الحذر من المعاصي:قال تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} ، أي: يحذركم عقابه بأن تباشروا المعاصي وما يسخط الربَّ –جلَّ جلاله، فيحلّ عليكم عذابه، أو تفقدوا نصره وتأييده، والداعي إلى الله يحذر أن يحل عليه غضب الله، أو يقطع عنه مدده وعونه ونصره وتأييده وحفظه، ولهذا فهو دائم التعلُّق بالله، شديد الحذر من الوقوع فيما يغضب الله تعالى.

ب– الحذر من الأهل والولد:والأهل والولد مجبنة مبخلة، كما جاء في بعض الآثار؛ لأنَّ حب المسلم لأهله وولده قد يقعد به عن الجهاد في سبيل الله، ويحبّب إليه الامتناع عن البذل حيث يحب الله منه البذل، وقد يمنعونه فعلًا عن الجهاد وعن العمل؛ ليوفر لهم الراحة والطمأنينة في زعمهم، وقد يستجيب لهم، فيكون فعلهم هذا فعل الأعداء، والعدو يستحق الحذر والإفلات من مكيدته، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}.

ت– الحذر من اتباع الهوى:وليحذر الداعي من الانزلاق إلى متابعة الهوى وترك الحق بحُجَّة تكثير سواد المستجيبين، أو بحُجَّة قبول الدعوة وانتشارها، فإنَّ دعوة الله ليست بحاجة إلى تكثير سواد أتباعها من طريق الخيانة، وإرضائهم بالباطل وبما يسخط الله تعالى، قال ربنا –تبارك وتعالى– لرسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}.

ث– الحذر من المنافقين والكفار:المنافقون أصناف شتَّى، منهم: المنافق الخالص، ومنهم من فيه شوب نفاق يلوّث إسلامه، ومنهم بين هؤلاء وأولئك. وضرر المنافقين في المسلمين عظيم، وقد يكون أكثر من ضرر الكفَّار

وسائل الحذر:

أ- البدء بمكاشفة الموثوقين بالدعوة إلى الله حذرًا من الأعداء.

ب- بالتخفي والاستتار، إحباطًا لكيد الكافرين، وإبعاد أذاهم عن الداعي إلى الله ودليلنا مرحلة الدعوة السرية.

ت- اعتزال القوم والاختفاء عنهم، ودليلنا على ذلك فتية أهل الكهف، وفيهم قال الله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ)الكهف؟

ث- الخروج إلى المحل الأمين تخلصًا من أذى الكافرين، ودليلنا على ذلك خروج المسلمين إلى الحبشة.

ج- عدم إظهار المسلم إسلامه إذا كان في هذا الإظهار تنكيل الكفرة بالمسلم، قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) غافر: ٢٧

ح- التفرق وعدم إظهار ما يلفت نظر الكفرة، قال تعالى عن يعقوب –عليه السلام: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) يوسف :٦٧

خ- إخفاء الداعي قصده وتفاصيل ما يريده، جاء في السيرة النبوية: "وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قلَّمَا يخرج في غزوة إلّا كنَّى عنها.

٢- <u>الإستعانة بالغير</u>

الاستعانة بأهل الخير والكفاءة: الداعي حريص على إيصال الدعوة إلى الناس، ومن أجل هذا يستعين بكلِّ وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه، ومن الوسائل المشروعة استعانته بأهل الخير والكفاءة، قال تعالى عن موسى –عليه السلام: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي...) طه:٢٩ وما بعدها.

استعانة الداعي بغير المسلم:- قد يحتاج الداعي إلى حماية المشرك مِمَّن يريد إيذاءه أو منعه من تبليغ الدعوة جواز الاستعانة بغير المسلم لغرض حماية الداعي:

يجوز للداعي المسلم أن يقبل حماية غير المسلم له، ومنع الأذى عنه، وتمكينه من الدعوة إلى الله، كما يجوز للداعي أن يطلب هذه الحماية منه، ودليلنا على ذلك من الثابت أنَّ أبا طالب كان يحمي رسول الله –صلى الله عليه وسلم، ويمنعه من قريش، وكان –صلى الله عليه وسلم- حريصًا على بقاء عمِّه أبي طالب على موقفه هذا. حتى قال –صلى الله عليه وسلم: "ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب"

شروط قبول حماية غير المسلم: ويشترط لقبول حماية غير المسلم أو طلب هذه الحماية أن لا يكونَّ ذلك على حساب معاني الإسلام أو التنازل عن شيء منها.

ثالثا: النظام

المقصود بالنظام أن يكون العمل الدعوي منظما له أدارة وأهداف قريبة وأهداف بعيدة وخطط وبرامج لتحقيق الأهداف .

أهمية النظام :النظام وسيلة جيدة لا بُدَّ منها لحسن استخدام الجهود وتوجيهها على نحوٍ مثمر في مجال الدعوة إلى الله، وبالتالي زيادة فرص النجاح للداعي في بلوغ هدفه.وبدون النظام تتبعثر الجهود، ويكون السير على غير هدى، والإسلام هو دين النظام، فالصلاة تؤدَّى بنظام من جهة الوقت ومتابعة المأموم للإمام، وكذا في العبادات الأخرى مثل الحج والصيام والزكاة. النُّظم في الشريعة الإسلامية للعمل الجماعي في مجال الدعوة إلى الله كثيرة، ويجب مراعاتها والاهتمام بها لا بُدَّ لكلِّ جماعة من رئيس، تلك حقيقة قررتها الشريعة وأمرت بها، ويؤيدها الواقع، ويدركها العقل السليم، ولهذا جاء في الحديث الشريف: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم"، ويقول الإمام ابن تيمية تعليقًا على هذا الحديث: "فأوجب –صلى الله عليه وسلم– تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأنَّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتمّ ذلك إلّا بالقوة والإمارة. ولا يجوز العصبية للمجموعة الدعوية لأن التعصب والعصبية من التفرق المنهي عنه في كثير من نصوص القرآن والسنة.

وسائل تبليغ الدعوة

تمهيد: تبليغ الدعوة إلى الله تكون بالقول وبالعمل، وبسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة لغيره، فتجذبهم إلى الإسلام، ونتكلم عن هذه الوسائل في ثلاثة فروع متتالية:

الفرع الأول: التبليغ بالقول

التبليغ بالقول: القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله، فالقرآن –وفيه معاني الدعوة إلى الله– هو قول رب العالمين، نزل به الروح الأمين على محمد –صلى الله عليه وسلم؛ ليكون به التبليغ، قال –تبارك وتعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} التوبة : ٦

الضوابط العامة في القول:

أ- حسن أسلوب والكلمة الطيبة وطِيب العشرة الأثر الطيب والثمر اليانع في حياة الناس بعامة، ولذلك حثّ اللهُ –عَزّ وجل– الأنبياء والدعاة والناسَ أجمعين على هذا القول الحسن، قال الله تعالى مادحًا عباده المؤمنين: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحَج : ٢٤] ، وقال آمرًا بالقول الحسن: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ٨٣﴾ [البَقَرَة : ٨٣].فإذا كان هذا الأمر بعامة ولعامة الناس؛ فمن باب أولى أن يكون للداعية منه نصيب وافر وبخاصة في مقام الدعوة، ولذلك أكد الله –عز وجل– على حُسْنِ الأُسلُوب في مَقَام الدّعوة بغض النّظر عن حال المدعو؛ أيًّا كان في مقامه أو في دينه أو في كفره، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥﴾ [النَّحل : ١٢٥].

ب- الرفق واللين في القول والعمل، يشهد له **قول ربنا –عز وجل– لموسى وهارون:** ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] **مع طغيانه وجبروته: { فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا }. وقد نهى الله عن الغلظة والشدة فقال تعالى:** ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ١٥٩﴾ [آل عِمۡرَان : ١٥٩]

ت- الشفقة والنصح لا التوبيخ والفضح،إن المدعوين مرضَى، والداعية هو الطبيب، والطبيب الناصح يكون شفيقًا بالمرضى؛ همه معالجتهم والأخذ بأيديهم إلى طريق الصحة، وإنقاذهم مما هم فيه، ولا يَجُوز له إلقاء اللوم ولا فضيحة المريض، ولا التشفي منه؛ فإنّ هذا يزيدهم مرضًا على مرض، وضياعًا على ضياع، وهمًّا على هم؛ لأجْلِ هذا وجب أن يكون أسلوب الداعية أسلوب الشفيق بمدعويه الرحيم بهم.

ث- يجب أن يكون القول واضحًا بيِّنًا لا غموض فيه ولا إبهام، مفهومًا عند السامع.

ج- أن يخلو من الكلمات المحتملة المعنى والتي تحتمل الحق والباطل الخطأ والصواب

ح- يجب أن يتأنَّى الداعي في الكلام فلا يسرع، بل يتمهَّل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، جاء في الحديث الذي رواه البخاري "أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه"

خ- سهولة الأسلوب وبساطة الطرح، وواقعية التمثيل وعلى الداعي أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في نطقه، جاء في الحديث الشريف عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "هلك المتنطعون –قالها ثلاثًا".

د- التحدث بلُغة الجمع، الخطاب بصورة الجمع باستعمال "نا" المتكلمين وبضمائر المخاطبة؛ فلا يقُل الداعية مثلًا في حال النصح وتصحيح الخطأ "أنت" أو "أنتم" فعلتم، وأنتم قصرتم، وانهزتم، وعليكم أن تتوبوا إلى الله، وأن تتبعوا سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهذا الذي أصابكم إنما أصابكم من ذنوبكم وأفعالكم، لا يقل هذا؛ فيُخرج نَفْسَه من جمهوره الذي يذكر عيوبه ويذكره بها، ويدعوهم إلى التوبة منها.

ذ- بل يدخل نفسه مع المخاطبين والحاضرين فيقول: نحن المسلمين قصرنا، ولو أننا فعلنا، لو أننا تبنا، أو يخاطبهم بأداة الشرط، من فعل كذا، كان له كذا وكذا، أو مَنْ فعل كذا فكان عليه كذا وكذا، أو يُخاطِبَهُم بصيغة مطلقة، لو تَاب المُسلم أو لو تاب المسلمون.

ر- وعلى الداعي أن يتلطف بالقول، فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعوّ إلى السماع، ويقمع فيه نوازع الجهل والنفور، وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تشير إلى هذا التلطُّف المفيد، قال تعالى عن إبراهيم –عليه السلام: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} مريم : ٤٢ فذكر إبراهيم لابيه رابط الابوة التي يميل لها قلب الأب.

والتلطف في القول لا يعني المداهنة والنفاق ولا إخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضى به.

أنواع القول: من القول في مجال التبليغ

١–الخطبة	٢– والدرس	٣– والمحاضرة
٤ –المناقشة	٥ – الدعوة الفردية	
٦ –الكتابة	٨– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	

١–الخطبة: وهي وسيلة جيدة للتبليغ، وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنًى أو معانٍ معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس، مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية.

٢– الدرس: الغالب في الدرس أن يكون شرحًا لآية من القرآن، أو لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم، او بيانًا لمسألة أو مسائل من الفقه، ويشترط للداعي في درسه أن يحضِّر مادته مسبَّقًا تحضيرًا جيدًا، وأن لا يتحدث فيما ليس من موضوع الدرس ؛ لأنَّ ذلك يبعد السامع عن أصل الموضوع، ويبعث في نفسه السآمة.

٣- المحاضرة: والغالب في المحاضرة أنَّها تعالج موضوعًا معينًا باستقصاءٍ وإحاطةٍ وذكر الأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال، والمحاضرة الناجحة ما كانت تهدف إلى هدف معيِّن ومحدَّد، وتجلي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع، ويجب على المحاضر أن يكون دقيقًا في كلامه، لا يلقي القول جزافًا، ولا يكثر من العبارات العاطفية؛ لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة، وأن يشرك السامعين معه في الوصول إلى ما يريده، بأن يبيِّن مقدمات النتيجة التي وصلها إليها في بحثه، فإذا ما استطاع إقناعهم بها كان وصولهم إلى النتيجة ميسورًا.

٤- المناقشة والجدل: المناقشة والجدل يكونان بين شخصين أو أكثر، يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور، والداعي عندما يدعو غيره إلى الله قد لا يقبل المدعوّ دعوته، فيقبل على جدال الداعي ومناقشه، وقد ذكر القرآن الكريم بعض صور المناقشات التي جرت بين الرسل الكرام وبين أقوامهم، من ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ، فالمدعوّ في مناقشته وجداله مع الداعي قد يصل إلى حدِّ اتهام الداعي بالضلال المبين، فلا يعجب الداعي من ضلال المدعو، ولا يخرجه عن هدوئه واتزانه وشفقته عليه.

٥- الدعوة الفردية المراد بالدعوة الفردية دعوة الأفراد أي دعوة الناس منفردين فالفردية هنا من حيث المدعو، ويقابل هذا: دعوة الناس مجتمعين من خلال الدروس والمحاضرات ويخطأ البعض عندما يظن أن الدعوة هو الدعوة الجماعة في الخطب والمحاضرات فقط، وهذا نسي أن بداية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعوة فردية قد آمن في هذه المرحلة زوجه وابن عمه علي، ثم دعا الرسول أبا بكر، وكانت له به صلة فآمن به، وعن طريق أبي بكر بواسطة الدعوة الفردية أسلم السابقون الأولون، عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والأرقم بن أبي الأرقم.

فيدل ذلك على أهمية الدعوة بالقول الفردية وهي دعوة المقربين للملسم من أقاربه أصدقاء وزملاء دراسة أو عمل.

٦- الكتابة :الكتابة وهي من أنواع القول في الدعوة إلى الله كما أشرنا من قبل. والكتابة إمَّا أن تكون كتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم إلى الإسلام، ونبذ ما يخالفه، وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها، وكلها وسيلة جيدة للدعوة إلى الله، فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يأمر بكتابة الرسائل إلى حكام البلاد غير الإسلامية، يدعوهم فيها إلى الله، واعتناق دين الإسلام؛ كرسائله –عليه الصلاة والسلام– إلى كسرى في العراق، وهرقل في الشام، والمقوقس في مصر.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غالبًا ما يكون بالقول، كما أنَّه قد يكون بدعوة غير المسلم إلى الإسلام، أو بدعوة المسلم العاصي إلى طاعة الله –سبحانه وتعالى، والإقلاع عن مخالفة شرعه، كما أنَّ هذا الأمر والنهي بأنواعه قد يكون موجهًا إلى شخص بعينه، أو إلى عِدَّة أشخاص، أو إلى طائفة من الناس، أو بشكل دعوة عامَّة إلى الناس لاتباع ما جاء به الإسلام، وترك ما يخاله. والقواعد الجامعة في هذا الباب والتي يجب أن يفقهها الداعي هي ما يلي:

قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

القاعدة الأولى: لا بُدَّ من العلم بالمعروف الذي يدعو إليه وبالمنكر الذي ينهى عنه. جاء عن بعض السلف: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلّا من كان فقيهًا فيما يأمر به فقيهًا فيما ينهى عنه"

القاعدة الثانية: الرفق، والأصل فيه الكتاب والسنة، قال تعالى مخاطبًا موسى وهارون –عليهما السلام: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} طه :٢٤.

القاعدة الثالثة: النظر إلى المصالح والمفاسد، ومعنى ذلك: أن يكون قول الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفقه ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فيما يأمر به أو ما نهى عن، نظر، فإن كان فيما يقوله أمرًا ونهيًا مصالح أعظم من المفسدة التي تحصل في أمره ونهيه، وجب عليه الأمر والنهي، وإن كان العكس، أي: المفاسد أعظم، لم يجب عليه، بل قد يحرم.

القاعدة الرابعة : التبليغ حسب الإمكان، وليس من شروط أداء واجب التبليغ أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي إلى كل إنسان مكلَّف في العالم؛ إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة، فكيف يُشترط فيما هو من توابعها؟ بل يشترط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرَّطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه، فإنَّ التفريط منهم لا منه.

الفرع الثاني: التبليغ بالعمل

يكون التبليغ بالعمل بعدة وسائل منها:

١-إزالة منكر ٢- بناء مسجد أو مدرسة

١-إزالـة المنكـر: والأصل في إزالة المنكر قوله -صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"،والقواعد العامة في إزالة المنكر:

القواعد العامة لإزالة المنكر:

القاعدة الأولى:أن تكون عند المزيل القدرة الكافية على هذه الإزالة، ولا شَكَّ في تفاوت الدعاة في هذه القدرة، وأعظمهم قدرة الأمير، أي: من بيده السلطة والأمر والنهي.

القاعدة الثانية: أن لا يترتب على تغيير المنكر منكر أكبر منه فإن كان يترتب على تغيير المنكر منكر أكبر منه ترك تغيير المنكر .

: القاعدة الثالثة: كره المنكر لا رخصة فيه، وإزالته حسب القدرة، ومما يجب أن يُعْلَم جيدًا أنَّ كره المنكر يجب أن يكون تامًّا كاملًا؛ لأن الأصل في المؤمن أن يكون حبه موافقًا لحب الله، وبغضه موافقًا لما يبغضه الله.

القاعدة الرابعة : الاستعانة ببعض المباح لتغيير المنكر، والأصل في ذلك مشروعية تأليف القلوب حتى تقبل الخير وتقلع عن الشر، ولو كان هذا التأليف بمالٍ يبذل، وقد روي عن الإمام الفقيه عمر بن عبد العزيز أنه قال: "والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئًا من أمر الدين إلّا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم، خوفًا أن يتخرق عليّ منهم ما لا طاقة لي به"

٢- بناء المدارس والمساجد والمراكز الدعوية أنها الوسيلة للتعليم والتربية فهي من أهم وسائل الدعوة لله تعالى .

الفرع الثالث : التبليغ بالسيرة الحسنة

أهمية السيرة الحسنة: من الوسائل المهمة جدًّا في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها ويتجذبون إليها؛ لأنّ التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط.

بالنظر إلى بوروندي فأن السيرة الحسنة كان لها دور كبير في إسلام إعداد من غير المسلمين .

إنَّ الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للمسلمين، التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدل بها غير المسلم على أحقيّة الإسلام، وأنه من عند الله، لا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل.

أصول السيرة الحسنة:

وأصول السيرة الحسنة التي بها يكون الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع إلى أصلين كبيرين:

الأصل الأول هو حسن الخلق : الاخلاق عرفها الغزالي: هي هيئةٍ في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة.

أهمية الأخلاق تظهر أهمية الأخلاق في الأتي :

١- الأخلاق والسلوك الإنسان يعكس ما في القلب فإنَّ كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى لا تتحرك إلّا على وفقها.

٢- الإنسان قبل أن يفعل شيئًا أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه، فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضيًا مقبولًا انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه، ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكمشت النفس عنه وكرهته

مكانة الأخلاق في الإسلام عظيمة، تظهر من وجوه كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١- تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق، جاء في الحديث الشريف عن النبي –صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق."

٢- تعريف الدين بحسن الخلق، فقد جاء في حديثٍ مرسل أن رجلًا جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله: ما الدين؟ فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "حسن الخلق"، وهذا يعني أنَّ حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدِّين بدونه، كالوقوف في عرفات بالنسبة للحج، فقد جاء في الحديث الشريف "الحج عرفة"، أي: إنَّ ركن الحج العظيم الذي لا يكون الحج إلّا به الوقوف في عرفات.

٣- من أكثر ما يرجِّح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق، جاء في الحديث الشريف عن النبي –صلى الله عليه وسلم: "أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق."

٤- المؤمنون يتفاضلون في الأيمان، وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقًا، جاء في الحديث: قيل: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال: "أحسنهم خلقًا."

٥- إنَّ المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقربهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظفرًا بحب رسول الله والقرب منه، أولئك المؤمنون الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم، جاء في الحديث الشريف عن النبي –صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا."

٦- إنَّ حسن الخلق أمر لازم وشرط لا بُدَّ منه للنجاة من النار، والفوز

نذكِّر هنا بخلق الصبر والعفو، فإنَّ الداعي لا بُدَّ أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى؛ لأنه لا بُدَّ أن يحصل له أذى أو مضايقات، فإن لم يحلُم ويصبر كان كما يقول ابن تيمية: "ما يفسد أكثر مما يصلح"، ولهذا قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ، {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ولهذا أمر الله الرسل –وهم أئمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر– بالصبر، قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} ، بل إنَّ الصبر مقرون بتبليغ الرسالة.

والأصل الثاني موافقة العمل للقول، فليحذر الداعي من مخالفة أفعاله لأقواله، فإنَّ النفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا يوافق فعله قوله، ولهذا قال شعيب –عليه السلام– لقومه كما جاء في القرآن الكريم: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} ، ولهذا حذَّرنا الله سبحانه من مخالفة أفعالنا لأقولنا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ، فليحمل الداعي نفسه دائمًا على موافقة أفعاله لأقواله، فإنَّ هذا أدعى للإقبال عليه وقبول قوله.

القـــواعـد الدعـــــوة[27]

بعد دراستنا لأصول الدعوة يمكننا أن نلخص ما سبق في هذه القواعد في باب الدعوة وهذه القواعد تُبَيّن للداعية أصول وأعمدة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهي:

القواعدة الأول

(الدعوة إلى الله وبما أباح الله من وسائل)

الشرح: تشتمل هذه القاعدة على أمرين هما هدف الدعوة ووسائل الدعوة

١- أولا هدف الدعوة : دعوة الناس إلى السير في طريق الله بالتمسك بالإسلام وأحكامه فهو الطريق الذي أمر الله بالسير فيه وهو الطريق الوحيد الذي ينجي من سخط الله وعقابه يقول تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عِمْرَان: ٨٥]

٢- ثانياً وسائل الدعوة وهي ما شرع الله من وسائل وفعلها النبي صلى الله عليه وسلم وكل وسيلة مباحة ليس فيها مخالفة لشرع الله.

لا يجوز استعمال وسيلة محرمة في الدعوة إلى الله مثل استعمال الموسيقى في الدعوة، الموسيقى حكمها محرمة فلا يجوز استعمالها في الدعوة إلى لله.

[27] هذا الباب مأخوذ بتصرف من كتاب تذكير أسود الصحوة في جمل من قواعد الدعوة وليد من راشد السعيدان

القاعدة الثانية

(الدعوة مبنية على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة)

الدعوة هي دعوة لله لذلك فهي تبنى وتقوم على ما أوحى به الله تعالى من قرآن وسنة ولا تقوم وتبنى على غيرهما، وكذلك فهم الوحي يكون على فهم خير الأمة وهم سلف الأمة فإن هم خير الأزمان، سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،)[28] متفق عليه، كما أمر صلى الله عليه وسلم باتباع طريقهم قال صلى الله عليه وسلم:(فَعَلَيْكُم بِمَاعَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)[29] ويقول بن مسعود رضي الله عنه :(اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) ويقول اللالكائي رحمة اللع نٰاتعالى : (فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع وذم التكلف والاختراع).

القاعدة الثالثة

(الدعوة مبناها على العلم والبصيرة لا على الجهل والتخبط)

اتفقت الأمة الإسلامية على أنه لا يجوز لأحد أن يدعو إلى أمرِ من أمور الدين إلا إذا كان يعلم بالذي يدعو إليه ولا يلزم أن يعلم بجميع أمور الدين وإنما فقط يشترط علمه بما يدعو له يقول الله تعالى :﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يُوسُف: ١٠٨]. فالبصيرة هي الدعوة بعلم و يقين ودليل شرعي وعقلي.

ويدل على تحريم الدعوة مع الجهل بما ندعو له لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[النَّحْل: ١١٦]، وهذه الآية تحرم أن يتكلم الإنسان بتحليل والتحريم وهو لا علم له بالأمر فيكون ممن يفترى على الله الكذب

[28] صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٣)
[29] مسند أحمدط الرسالة (٢٨/ ٣٦٧)

القاعدة الرابعة

(البدء في الدعوة بالأهم ثم المهم)

يبدأ الداعية إلى الله دعوة الناس بأهم الأشياء ثم ينتقل بعده إلى الأقل أهمية وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حينما بعث معاذ ين جبل إلى اليمن عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)[30]. بين الحديث أن ما يدعو له الداعية هو عبادة الله وتوحيده ثم بعد ذلك أركان الإسلام ثم الأهم ثم المهم.

قاعدة الخامسة

(الإخلاص هو طريق القبول عند الله وعند الناس)

الدعوة إلى الله تعالى من أجل العبادات ومن أكبر الطاعات فالداعية إلى الله تعالى يعبد الله بهذه الدعوة ولما كانت الدعوة عبادة فلا بد من تطبيق شروط صحة العبادة عليها وقد تقرر عن أهل العلم يرحمهم الله تعالى أن العباداة لا تصح إلا إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى ونتبع فيها النبي صى الله عليه وسلم فالإخلاص شرط قبول العدوة فلا يجزو أن يكونلدعوته مقاصد أخرى إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات) بمعنى أن جزاء الاعمال عند الله بناء على نياتهم. الداعية منهجه ما قاله الرسل في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٦٢ - ١٦٤]، فالداعية إلى الله تعالى لا ينبغي أن تنطوي نفسه في دعوته على مقاصد خارجة عن ذلك ،

[30] صحيح البخاري (٢/ ١١٩)

أي عن إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فلا يرجو بدعوته مناصب ولا مال ولا شيئا من الأمور التافهة الدنيوية.ومن حكم الله تعالى أن ما يكون صادقا خارجا من قلب الداعية فإنه يصادف قبولا عند المدعو فما خرج من القلب استقر في القلب.

القاعدة السادسة

(فعل الداعية لما ينهى عنه وتركه لما يأمره قبيح في العقول والفطرة والشرع)

إن من أقبح القبح أن يرى الناس الداعية لا يفعل ما يدعوهم إليه من الخير والبر، وأن يرى الناس الداعية فاعلا لما نهاهم عنه، والله إن هذا قبيح جدا ، وقبحه لا يستطيع القلم ولا اللسان وصفه ، بل هو ممّقوت أشد المقت ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصَّف : ٢ - ٣]

القاعدة السابعة

(الدعوة مبناها على تحقيق المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها)

الدين كله مبني على تحقيق المصالح ودفع المفاسد بمعنى أن ما لا يحقق المصلحة أو يجلب المفسدة فإنه ليس من الدين يقول ابن القيم :(الشريعة مبناها على الحِكمة ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة).
والأدلة على مراعاة المصالح ودفع المفاسد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٠٨﴾ [الأَنْعَام : ١٠٨]

القاعدة الثامنة

(فهم واقع المَدعُوين مهم في نجاح الدعوة)

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال له " إنك تأتي على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ... الحديث " متفق عليه ، والشاهد منه هو أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف واقع المدعوين هناك ، وأخبر بها معاذا حتى تكون دعوته متفقة مع ما يتناسب مع حال المدعو ، وحتى لا تكون الدعوة في واد ، وما يحتاجه الناس في واد آخر ، وإني لأعجب من داعية يقصر في هذا الأمر ، ولذلك ففي الأعم الأغلب لا تكون الدعوة مؤث رة في الناس إلا إن كان الداعية على فهم كبير وعلم ودراية بواقع البلد التي يريد الدعوة فيها.

القاعدة التاسعة

أثر الدعوة تراكمي مستقبلي

يجب على الداعية أن يعلم أن نتائج دعوته ربما لا تكون عاجلة بل تتأخر فإن تاثير الدعوة قد يتأخر، وبتكرار الدعوة والاستمرار في الدعوة يحدث الأثر والتغيير المطلوب، وعلى الداعية أن لا يستعجل فإن من طبع الأنسان التعجل قال تعالى:﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾ [الأَنبِيَاء : ٣٧] ، والداعية لا بد أن يخالف مقتضى هذه الطبع البشري، خاصا في مسألة نتائج الدعوة، فإن النتائج لا تأتي في الأعم الأغلب دفعة واحدة، بل المعروف بالتجربة واستقراء التاريخ أن أثر الدعوة تراكمي ، أي يأتي رويدا رويدا ، ويجتمع شيئا فشيئا، ويتضح تباعا ، ومستقبلي أي لا ينظر الداعية إلى النتائج في حاضره، بل الأعلم الأغلب أن آثار الدعوة تكون مستقبلية، بل ولربما لا يدركها الداعية في حياته.

القاعدة العاشرة

(الرِّفْقُ واللين والتّيسير لا القساوة والغلظة والتعسير)

إن من أعظم مُميزات الأسلوب الحسن والمعالمة هو الرفق في المعاملة والكلمات الطيبة، والعِبَارَاتُ اللّيِنَة والبَشاشَةُ ، والبُعد عن الجفاء، والتجافي وعن الفظاظة، يقول تعالى : ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤]، ، رغم أن فرعون كان طاغية متجبر ويقول تعالى : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عِمۡرَان : ١٥٩]

، وعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه)، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال "من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير)

القاعدة الحادي عشرة

الدعوة بالقدوة والفعل أعظم أثرا من الدعوة بالقول

أن الدعوة بالقدوة له أهميته الكبيرة في الصلاح والإصلاح ، وقبول الدعوة ومحبة الناس للداعية ، تطبيق الإسلام خُلقا ومعاملة وعفة لجذب الناس إليه بالأمثلة الحية ، وتتمثل الدعوة إلى الله تعالى بالقدوة الحسنة في الكلام، والسلوك، والقول، والعمل والحال والمقال، والتطابق والتكامل في كل ذلك، وإن من واجب الدعاة إلى الله في العصر الحاضر القيام بالدعوة الإسلامية عن طريق القدوة الحسنة لأنها السبيل الوحيد لهداية الناس، وإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية، ولن يتحقق ذلك إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، والصبر على الدعوة، وعلى أذى الناس. كان النبي صلى الله

عليه وسلم أول المبادرين لاعمال الخير التي يدعو الناس لها فكان أحسن الناس خلق وأكثرهم عبادة .

القاعدة الثانية عشرة

الأصل في الوعظ التخول والإيجاز

التخول مقصود به عدم تكرار الموعظة يوميا، والإيجاز الاختصار وعدم التطويل في الخطبة والمواعظ، لأن النفوس قد جبلت على حب الاختصار، ولذلك فإن من جملة ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكبر الدعاة على الإطلاق أنه قد أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ، الحكمة عند العقلاء تقول: (خير الكلام ما قل ودل) ، فالتطويل في موضع الإيجاز عيِب والعكس بالعكس، فالأصل في الكلام الاختصار ، وهذا مهم في جانب الموعظة للداعية أيما أهمية ولذلك ففي الحديث " كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا ..." رواه البخاري ، وبوب عليه بقوله)، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا، والتطويل في الكلام في المواعظ مّا يوجب الملل ، ونحن معاشر الدعاة مأمورون بأن لا ننفر الناس ، كما قال عليه الصلاة والسلام " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " رواه البخاري ، والأختصار وعدم التطول من التيسير.

القاعدة الثالثة عشرة

(بالصبر واليقين تنال إمامة الدين)

هذه القاعدة هو أصل بينه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه العزير يقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السَّجْدَة : ٢٤]، ذكر الله لنا أنه يختار الأئمة القادة لهذه هذه الأمة بناء على صفتين الأول صفة الصبر على ما يلحق الدعاة من أذى في طريق الدعوة وبالصبر

على الطاعة والصبر عن المعصية الله، والصفة الثانية هي صفة اليقين بما أخبر الله به ووعد به عبادة المؤمنين من النصر في الدنيا والنعيم في الآخرة.

مقدمة الخطابة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فاعتقد الأقدمون أن للخطابة علمًا له أصول وقوانين من أخذ بها عد خطيبًا، وعرفوا هذا العلم بأنه مجموع قوانين تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها.

إن علم الخطابة هو العلم الذي يعرف الداعية الخطيب كيف يخاطب الناس ويقنعهم ويجذبهم ويرغبهم ويرهبهم، وكيف يتكلم بتؤدة وتمهل حتى يفهم الناس منه ويعقلوا عنه، وكيف تكون خطبته لمستمعيه بما تتناسب مع عقليتهم وثقافتهم وما تتفق مع أعمارهم ولهجاتهم، حتى يستحوذ على نفوس المخاطبين ومشاعرهم، ويكون له في المجتمع أثر وفي مجال الإصلاح تغيير. كذلك يعرف الدارس كيف يملك قلوب المخاطبين ويشدهم إلى تقبل الحق، ويدفعهم إلى الالتزام ويحرك عزائمهم ويستثير وجدانهم، وذلك باستعمال النداءات الاستعطافية والمخاطبات التشويقية.

وهذا العلم الذي يعرف الداعية الخطيب عيوب الخطيب ليتحاشاها ويبتعد عنها؛ كعيوب النطق والحركات الكثيرة والمبالغة في الإشارات، والمواقف التمثيلية المتكلفة، والغلو في رفع الصوت إلى درجة تصك الآذان، والهمس إلى

درجة تجهد السامعين، والسرعة إلى درجة تتطاير معها الحروف وتتآكل معها الكلمات، والبطء إلى درجة تستدعي التثاؤب والنعاس، والعبث باللحية وفتل الأصابع والإكثار من السعال بغير مبرر، والإثارة واضطراب الأعصاب وسوء المظهر، إلى غير ذلك مما يخل بشخصية الداعية ويضعف مهابته، ويجعله محل نقد ومثار سخرية.

كما أن علم الخطابة يعرف الخطيب ما ينبغي أن يكون عليه وهو يتكلم، بأن يكون قوي الملاحظة حاضر البديهة طليق اللسان، رابط الجأش مراعيًا مقتضى الحال، قوي الشخصية؛ وذلك ليحرص على التحقق بها ويعمل بمقتضاها؛ ليستمر عطاؤه ويؤثر كلامه ويحقق الخير والعز والسيادة لأمة الإسلام.

يضاف إلى هذا أن علم الخطابة يعرف طلاب الدعوة –الذين لم يسبق لهم أن يمارسوا التحدث ولا المحاضرة ولا الخطابة– طرق التحضير وتهيئة الموضوع من جميع نواحيه، ويعد لهم من جميع جوانبه ويشبعه بحثًا ودرسًا وشواهد، حتى يستطيع أن يدلي بحجته فيصيب المرمى وينال السبق، ويبلغ الغاية ويؤثر في الناس بهز المشاعر وتحريك أوتار القلوب، ويبين لهم الخطوات الموصلة إلى الارتجال في الخطابة، والبواعث التي تثير انتباه الجمهور إليه، وتبدد ظلام اليأس في نفوس المخاطبين، ويشرق فيها نور الرجاء والأمل.

وعلم الخطابة بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي ملكاته، وينمي استعداداته، ويخلصه مما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الطريق ويسلك السبيل.

تعريف الخطابة :

الخطابة لغة: مصدر خطب يخطب خطبة وخطابة. جاء في (مختار الصحاح): "خطب الخطب سبب الأمر. تقول: ما خطبك؟ أي ما أمرك، وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير، وجمعه خطوب، قاله الأزهري. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وقال الراغب في (المفردات في غريب القرآن): "خطب الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام، ومنه: الخُطبة والخِطبة، لكن الخُطبة تختص بالموعظة والخِطبة بطلب المرأة.

ال الله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} (البقرة: ٢٣٥)

وأصل الخطبة الحال التي عليها الإنسان إذا خطب نحو: الجلسة والقعدة.

الخطابة اصطلاحا : هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته

وقيل هي : كلامٌ يحاوَلُ به إقناعُ أصناف السامعين بصحَّة غَرَضٍ يقصِدُه المتكلِّم لفِعْلِه أو الانفعالِ به

تاريخ علم الخطابة ونشأتها

الخطابة قديمة العهد والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان، إذ لا غنى للإنسان عن الإبانة والتعبير لغيره عما يدور في خلده وضميره من معانٍ وأفكار، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه. وقد كان للأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة والسلام– في الخطابة الحظ الأوفى والمقام الأعلى

ويعد اقدم من كتب في الخطابة أرسطو، فجمع قواعد علم الخطابة وضم شوارده في كتاب أسماه (الخطابة)، كان أصلًا لذلك العلم ومرجعًا يرجع الخطباء والمؤلفون في الخطابة إليه، وصدرًا يصدرون عنه ويردون موارده.

وإذا تركنا الحديث عن اليونان والرومان وتوجهنا شطر العرب؛ وجدنا أن الخطابة في صدر الإسلام وصلت إلى الذروة وبلغت كمال أوجها.

أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

الخطابة كانت ولا تزال من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى باللسان، ولا نتجاوز الحقيقة كثيرًا إن قلنا: إن الخطابة هي أهم وسائل الدعوة الإسلامية، ففي بداية الدعوة كان للخطابة الدور الرئيسي في التبليغ، حيث امتثل النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربه له بالدعوة جهرًا {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر * قُمْ فَأَنْذِرْ} (المدثر: ١، ٢)، {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٤)، {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الحجر: ٩٤).

لما نزلت هذه الآيات جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– الخطابة سلاحه في التبليغ. روى الترمذي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: ((لما نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} جمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قريشًا فعم وخص؛ فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك من الله ضرًّا ولا نفعًا. يا معشر عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرًّا ولا نفعًا. يا

معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرًّا ولا نفعًا. يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرًّا ولا نفعًا. يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرًّا ولا نفعًا، إن لك رحما وسأبلها ببلالها)) أي: إن لك قرابة وسأصلها كما أمرني الله سبحانه وتعالى.

وذاك هو السر في أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يخطب كل أسبوع وكل عيد، ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة، ولأهمية الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية جعلها الإسلام الحنيف شعيرة من أهم شعائره، في كافة المناسبات الدينية والدنيوية؛ دعمًا للحق وهدمًا للباطل. وتظهر أهمية الخطابة فيما يلي:

١– إنها مهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين والخلفاء والمصلحين، من قام بها على الوجه الأحسن والأكمل كان من الرابحين الفائزين.

٢– أنها زاد للأرواح وغذاء للعقول وتربية للأبدان، وبها تزكو النفوس وتعبد بارئها ومولاها، وتفر إليه وتحب طاعته، وتحرص على نيل مرضاته، وتمقت مخالفته، وتكره عصيانه. وبالخطابة تفض المشاكل وتقطع الخصومات، ويرفع الحق ويهدم الباطل، ويقام العدل وترد المظالم، وبالخطابة يتعاون الناس على البر والتقوى، وينصر المظلوم ويغاث المستغيث ويعان المحتاج.

٣– إن الخطابة هي لسان الهداية والدعامة الكبيرة التي تهدم الباطل، وتحرر الأرض ومن عليها من رق العبودية لغير الله عز وجل، ولهذه المنزلة للخطابة في الإسلام عدت من شعائره الكبرى.

صفات الخطيب والداعية:

أهم صفات التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها:

أولًا: العلم: إن أول واجب على الداعي الخطيب العلم بالقرآن، السنة، و الرسول – صلى الله عليه وسلم– وسيرته، وسيرة الخلفاء الراشدين، والسلف الصالح، والعلم

بالقدر الكافي من الأحكام وأسرار التشريع مع الصدق في نشرها. الدعوة إلى الله يشترط لها البصيرة، والبصيرة هي العلم كما قال الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٨]

ثانيا: العمل بالعلم، فلا يكذب فعلك قولك، ولا يخالف ظاهرك باطنك، ولا تأمر بشيء لست مؤتمرًا به، ولا تنهَ عن شيء أنت مرتكبه، كن دائمًا أول من يأتمر، وأول من ينتهي؛ ليفيد وعظك، ويثمر إرشادك، أما إذا كان الخطيب يأمر بالخير، ولا يفعله، وينهى عن الشر وهو واقع فيه، فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الإصلاح، وهيهات هيهات أن ينتفع به، فإنه فاقد الرشد في نفسه، فكيف يرشد غيره؟ وفي الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((مررت ليلة أسري بي بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم؛ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون)).

ثالثا: الصّبر: وهو قوة نفسية إيجابية فعالة؛ تَدْفَعُ المُتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف، والاستكانة والاستسلام، وتَحْمِلُه على الصمود والثبات أمام الفتن والمُغريات، وأمامَ المحن والمكاره والأحداث. لقد سَلَك المُشركون مع النبي –صلى الله عليه وسلم– مسالك شتى في الأذى، وأساليبَ مُتنوعة في الاضطهاد؛ ليَصُدّوه عن دعوته؛ ويُثنوه عن أداء رسالته؛ فمَا استكَانَ وما خضع الله يختبر المؤمنين يقول الله : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين} (العنكبوت: ٢، ٣)

رابعا: الصدق: ويكون الصدق في القصد والقول والعمل، ومعناه في القصد: كمال العزم، وقُوّةُ الإرَادِةِ على السير إلى الله، وتَجَوّز العَوائق لقد أمر الله –تبارك وتعالى– بالصِّدْقِ ومَدَح أهْلَه وبَيّنَ جَزاءهم؛ فقال –عز وجل–: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين} (التوبة: ١١٩)

خامسا: الشجاعة، أن يكون الخطيب شجاعًا حتى لا يهاب أحدًا في الجهر بالحق، ولا تأخذه في نصرة الله لومة لائم، ففي الحديث عن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: ((بايعنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)).

سادسا: سعة الصدر، فكمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب؛ فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادئ النفس مطمئن القلب لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، وحسبك في هذا قول الله تعالى لإمام الدعاة محمد –صلى الله عليه وسلم–: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (آل عمران: ١٥٩).

سابعا: العفة واليأس مما في أيدي الناس، على الخطيب أن يكون عفيفًا نزيهًا لا يتطلع إلى ما في أيدي الناس، فإن الله –تبارك وتعالى– قال لنبيه –عليه الصلاة والسلام–: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (طه: ١٣١)

ثامنا: قوة الثقة بالله تعالى، ليكون الخطيب قوي الثقة في وعد الله، كامل الرجاء في حصول الفائدة من دعوته مهما طال العلاج وعظمت المصاعب، فإنه متى تمكن ذلك من نفسه انبعثت همته وقوي نشاطه، وتنبه إلى انتهاز كل فرصة بما يناسبها موقنًا بأنه إن لم يظهر تأثيره اليوم فغدًا يظهر مؤمنًا بأن الباطل زهوق، ولا بد لمن يوم يتغلب فيه الحق على الباطل.

إعداد الخطبة

إن الخطيب البارع هو الذي يحدد خطبته ويحضر موضوعها تحضيرًا دقيقًا؛ حتى تكون خطبته مركزة ومنظمة معالجة للمشاكل المعاصرة، وحتى يربط بين الدين والحياة. ويبدأ بتحديد موضوع الخطبة ثم يرتب عناصرها وأفكارها، ثم يشرحها مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية، ويستخلص النتائج والدروس التي تناسب الأحداث التي يعيشها الجمهور، وبذلك يشد انتباههم ويقنع عقولهم ويستميل وجدانهم.

أما الأساليب الخطابية المرتجلة فهي أقل بهاء ورونقًا من المُعَدَّة والمحضرة، وكذلك الأفكار المرتجلة فهي فجة مبتسرة، إذا قيست بالأفكار المدروسة الناضجة المختمرة. ثم إن ظهور الخطيب بمظهر المجازف الذي لم يعد الخطبة فيه اعتداد بالنفس، واستهانة بالحاضرين، وتبجح بعدم الاهتمام

كتب "تيدي روزفيلد" في مذكراته يقول: "انتخبت إلى المجلس التشريعي في خريف سنة ١٨٨١، وقد وجدت نفسي أصغر رجل في المجلس، ومثل سائر الشبان والأعضاء غير المتمرسين وجدت صعوبة بالغة في تعلم الخطابة، وقد استفدت كثيرًا من نصيحة رجل ريفي عجوز يقول فيها: لا تتكلم حتى تتأكد أن لديك ما تقول، واعرف عما ستتحدث ثم قله واجلس".

وكان الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده الحوليات؛ لأنه كان يمكث حولًا كاملًا في إعدادها وتنقيحها. كذلك فعل خطباء وشعراء العروبة والإسلام؛ لأنهم يدركون أهمية الإعداد والتحضير في الشعر والنثر، ولأنهم يعلمون أن الإعداد والتحضير سمة للإنتاج البليغ.

إن التخطيط والتحضير الجيد للخطبة من الأهمية بمكان، كما يفهم من تصريح عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يوم السقيفة حيث قال: "لقد زورت كلمات أعجبتني –أي: حضرتها في نفسي وأعددتها– فقال لي أبو بكر: على رِسْلِك يا عمر، فوالله لقد جاء عليها كلها". يقول عمر: لقد جاء أبو بكر على تلك الكلمات التي زورها في نفسه. فهذا عمر الملهم، وعمير سفير في الجاهلية وملهم ومُحَدَّث في الإسلام، يزور كلمات يواجه بها الموقف، فمن لم يبال بهذا العمل فإنه لا يسلم من الفشل.

خطوات إعداد الخطبة

١- تحديد موضوع الخطبة الغاية من هذا الموضوع.

٢- أن يرتب مقدمات الحديث تمهيدا للموضوع الخطبة

٣- المرونة في طرح الأفكار .

٤- أن يكون أسلوب الخطابة شيقا جذابا معبرا عن المعاني وموضوع الخطبة

عناصر الخطبة:

فالخطبة لا بد أن تكون متسلسلة منظمة، وأن تكون واضحة البيان في أسلوبها حتى تقنع المستمع، وتستميله بأدلتها **وأجزاء الخطبة هي : المقدمة، والعرض والموضوع ، والخاتمة.**

أولا: المقدمة فهي من الخطبة كالمطلع من القصيدة، كل منهما يمهد لما بعده ويعد السامعين إلى الإصغاء ، فيعتمد الخطيب على المقدمة لتوضيح أهمية الموضوع وبيان قيمته، وحتى تكون المقدمة جيدة يشترط لها شروط:

أ- الديباجة وهو بدايتها بحمد الله والثناء عليه لأن ما لم يبدأ بحمد الله والثناء عليه فهو منزوع البركة أبتر كما جاء في الحديث

ب- أن تكون تمهيدا وتهيئة للمدعوين لموضوع الخطبة

ت- أن تكون المقدمة واضحة مناسبة لعقول السامعين، موزونة المعاني دقيقة التعبير.

ث- أن تكون شائقة تجذب السامعين إلى الموضوع

ثانيا: عرض الموضوع: وهو أساس الخطبة وهدفها يمثل الغرض و الفكرة أو المبدأ الذي يدعو إليه الخطيب ويشرحه شرحًا وافيًا بإيضاح، مع التدليل عليه وتأكيده بكافة البراهين النقلية والعقلية التي يستطيعها خطيب، ودفعه ما يمكن أن يوجه إلى هذه الفكرة أو المبدأ من انتقادات وطعون. وتتمثل أهمية هذا الجزء في أنه أساس الخطبة أو عمودها الفقري أو كيانها وصلبها ويشترط لجودة ونجاح **الموضوع عدة شروط من أهمها:**

أ- ذكر الحجج الشرعية والعقلية لإثبات ما يريد المتحدث

ب- ذكر الأمثلة التوضيحية التي تشرح للفكرة لتكون واضحة في الاذهان

ت- الوحدة العضوية أو الموضوعية؛ بأن يدور الكلام في الخطبة كلها حول فكرة واحدة، ويحللها تحليلًا دقيقا ويؤكدها تأكيدًا قويًّا تدليلًا وتفنيدًا. ولا يأتي بعدد من الموضوعات

ث- ترتيب الكلام ترتيبًا منطقيًّا يبدأ فيه بالأفكار البسيطة السهلة، أو بالثوابت ثم يتدرج حتى يصل إلى ما يريده، وفي القمة يبدو إنفعاله وقوة صوته وقوة عبارته جميعًا

ج- الوضوح؛ فلا يُسئم السامع بالتعقيد والغموض، فإن ذلك يصرف الأذهان عن متابعة الخطيب.

ثالثًا: الخاتمة أو النتيجة، وهي خلاصة ما يتوصل إليه الخطيب من موضوع الخطبة، وهي آخر شيء من الخطبة يبقى في آذانهم وأذهانهم الخاتمة إن كان وقعها حسنًا انسحب ذلك على الخطبة حسنًا، وإن كان وقعها سيئًا انسحب ذلك على الخطبة كلها، وساء الأثر وضاعت الغاية المنشودة والأمل المرجو والأمر المبغي، لذلك يجب أن يكون في الخاتمة من جمال التعبير وحسن الانسجام، وجودة المعنى وإصابة الغرض، لحسن الخاتمة في خطب الخطباء منهجان هما:

أولًا: أن يلخص الخطيب في الخاتمة آراءه السابقة في العرض أو الموضوع.

ثانيهما: أن يحاول اجتذاب عواطف السامعين إلى رأيه.

مصادر الخطبة

المقصود بها المصادر التي يستمد منها الخطيب الخطبة وهي :

١- القرآن الكريم هو أول مصدر يجب على الخطيب أن يستمد منه مادته، فهو كتاب الله عز وجل، ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام خالد ختم به الأديان، فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة، وهو حجة الرسول وآياته الكبرى، يقوم في فم الدنيا شاهدًا برسالته ناطقًا بنبوته، دليلًا على صدقة وأمانته، وهو ملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام إليه الدين في عقائده وعباداته

وحكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه، وهو عماد لغة العرب الأسمى.

٢- السنة المطهرة فهي أعظم نبع بعد القرآن الكريم، يغترف منه الخطيب غرفًا ويعب منه عبًّا؛ أولًا: ليحيا هو في نفسه بالسنن، وليقيم بيته وأهله وحياته كلها على السنة، فيكون مرآة صافية للناس يرون فيها عيوبهم، ويتعرفون منها على جوانب النقص فيهم، فيقوِّمون العيوب ويستدركون النقص بمحاكاة الإمام والخطيب والاقتداء به.

٣- سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– ودراسة كل ما يتصل بحياته –صلى الله عليه وسلم– ونشأته وبعثته، ودراسة دعوته ومراحلها المختلفة، وأساليبه في الدعوة ومنهجه في الدعوة والتربية والتعليم، وجهاده في سبيل نشر الدين الذي بعثه الله به، وأخبار هجرته وغزواته ومعاركه، إلى غير ذلك مما يتصل بحياته –صلى الله عليه وسلم– من ميلاده إلى وفاته، والاستفادة من ذلك، والسير بالدعوة والتحرك بهذا الدين في ضوء هذه السيرة.

٤- سيرة السلف الصالح رأس الأولياء وصفوة الأتقياء، وقدوة المؤمنين وخير عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين، جمعوا بين العلم بما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبين الجهاد بين يديه، شرفهم الله بمشاهدة خاتم أنبيائه –صلى الله عليه وسلم– وصحبته في السراء والضراء، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله عز وجل، حتى صاروا خيرة الخيرة وأفضل القرون بشهادة المعصوم –صلى الله عليه وسلم– فهم خير الأمم سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم.

٥- معلومات عن الكون ونظامه وسننه التي يسير عليها، ذلك أن كل ما خلقه الله تعالى قائم على سنن وقوانين شرعها الله تعالى، وجعلها نظامه الذي لا محيص عنه ولا خروج على حدوده، لكن نظرة في ما يرويه بعض المفسرين والواعظين تخيل للشخص أن هناك أمورًا تجري هكذا دون ما سبب أو ما مسبب، كيف والله يقول:

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (القمر: ٤٩) ويقول: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} (الفرقان: ٢).

٦- الأدب من شعر ونثر جميل يدل على المعاني والأفكار التي يريد المتحدث اثباتها وإقناع السامعين بها.

٧- الأمثال والحِكم الصحيحة التي تؤيد الشرع وتوافق الفطرة السليمة.

التدريب على الخطابة :

التدريب هو طريق إتقان الخطابة ويمكن تقسيم مراحل التدريب على الخطابة إلى ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى : كتابة الخطبة كاملة ثم يقراءها عدد من المرات ثم بعد ذلك يلقيها قراءة من الورقة يفعل ذلك في عدد من الخطب .

المرحلة الثانية: كتابة الخطبة كاملة ثم يقرؤها عدة مرات ثم يلخصها بكتابة المحاور الرئيسة فقط ثم يلقيها مستعينا بملخص الخطبة الذي يحتوي على المحاور الرئيسية يقوم بذلك في عدد من الخطب

المرحلة الثالثة : كتابة الخطبة كاملة ثم يقرأها عدة مرات ثم يلخصها بكتابة المحاور الرئيسية ويقراءها عدة مرات ثم يلقي الخطبة من حفظه .

الفهرس

مقدمة..... ١
تعريف وموضوع الدعوة ٢
ثالثا : أنظمة الإسلام ٥
النظام الاجتماعي ٥
النظام الاقتصادي ١١
الأصول الأخلاقية للنظام الاقتصادي في الاسلام..... ١٢
نظام الحكم ١٤
الـدَّاعِــي..... ١٨
المَــدعُــو أصناف المدعوين..... ٢٢
أساليـب الـدعــوة ٢٥
وسائـل الــدعوة..... ٢٨
قواعد الدعوة القاعدة الأولى ٣٩
القاعدة الثانية والثالثة ٤٠
القاعدة الرابعة والخامسة ٤١
القاعدة السادسة والسابعة ٤٢
القاعدة الثامنة والتاسعة ٤٣
القاعدة العاشرة والحادي عشرة..... ٤٤
القاعدة الثانية عشر والثالثة عشرة..... ٤٥
مقدمة الخطابة..... ٤٧
تعريف الخطابة ٤٨
أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية..... ٤٩
صفات الخطيب والداعية ٥٠
إعداد الخطبة..... ٥٢
عناصر الخطبة..... ٥٤
مصادر الخطبة..... ٥٥
التدريب على الخطابة ٥٧